سلسلة روايات
ملف المستقبل

٦

زائر من المستقبل



ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

زائر من المستقبل

- كيف انتقل هذا الزائر من القرن الثلاثين إلى القرن الحادي والعشرين ؟
- أهو زائر مسالم ؟ أم يحمل كارثة من المستقبل ؟
- ما سر هؤلاء الرجال الذين يحاولون اختطاف هذا الزائر ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) في حل اللغز

٦



الثمن في مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا في سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة

العدد القادم ([illegible])



١ ــ التحقيق ..

تحرّك النقيب (نور) بقلق ، وهو يدور ببصره فى الغرفة العارية الصغيرة ، التى يقف فى منتصفها ..

كانت الغرفة تقع فى الطابق الثانى عشر ، من مبنى الإدارة العامة للمخابرات العلمية .. حيث استدعاه المحقق العام لاستجوابه ، بشأن ارتكابه مخالفات تضرّ بسريّة العمل ..

أخذ (نور) يقدح زناد فكره ، محاولًا تذكُّر كل الحوادث والقضايا التى مرّت به ، منذ بداية عمله فى المخابرات العلمية ، فلم يجد فى كل ما حدث ما يمكن أن يضرّ بسريّة العمل .. وقبل أن يتمادى فى أفكاره سمع صوتًا قويًّا يتردّد فى الغرفة :

ــ النقيب (نور الدين) .. ارفع يدك اليمنى إلى أعلى .

رفع (نور) يده ، وحاول أن يعرف الجهة التى أتى

منها الصوت ، ولكنه فشل .. وسرعان ما سقطت بقعة ضوئية خضراء على كفّه ، وظلت مركَّزة عليه عدة ثوانٍ ، ثم اختفت .. وهنا عاد الصوت يقول :

ـــ توزيع المسام فى كفك إيجابى .. لقد تم التحقق من شخصيتك .. اجلس على المقعد الذى سيظهر إلى يمينك .

وبهدوء خرج من الحائط مقعد وثير ، مصمَّم بحيث توجد به منخفضات ناعمة ، تستقر بها ذراعا الجالس ورأسه .. تحرَّك (نور) نحو المقعد ، وجلس بهدوء .. وهنا برزت عدة (كاميرات) تليفزيونية من سقف الحجرة ، وتوجَّهت عدساتها إلى وجه (نور) .. كان يعلم أن هذه (الكاميرات) تنقل صورة مكبَّرة جدًّا لوجهه ، حتى تبدو كل خلجاته واضحة أمام المحقق ، وأن المقعد ذا المظهر البرىء ، ما هو إلا جهاز لكشف الكذب ، ينقل بدقة درجة حرارته ونبضه وتنفسه ، حتى نشاط مخه إلى الكمبيوتر المختص بتحليل أقواله ..

استرخى (نور) فى المقعد مطمئنًا ، وأتاه الصوت القوى يقول :

ـــ نقيب (نور) .. أنت متهم بارتكاب مخالفات تضرُّ بسريَّة العمل .

أجاب (نور) وقد سيطر على أعصابه تمامًا :

ـــ هل لى فى معرفتها يا سيِّدى ؟

قال الصوت بنبرات حازمة :

ـــ أنت متهم باستخدام مدنيِّين فى أعمال سريَّة للغاية .

قطَّب (نور) حاجبيه ، وعاد يسأل :

ـــ أرجو مزيدًا من الإيضاح يا سيِّدى .. ماذا تعنى بذلك ؟

زاد الصوت حدَّة وهو يردِّد :

ـــ مزيدًا من الإيضاح ؟ أنت تستخدم فى القضايا التى تسند إليك فريقًا من المدنيِّين : مهندسًا شابًّا ، ومهندسة شابة ، وطبيبًا نفسيًّا .. وهذا يضرُّ بالسرِّية

المطلقة لهذه الأعمال .. فما هى أقوالك؟

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ أعرف بذلك يا سيّدى .

ظهرت رنّة الارتياح واضحة عندما تابع الصوت :

ـ ألا ترى أن هذا يضرّ بالصالح العام للعمل ، حيث إن هذه القضايا تقتضى السرّية الكاملة ؟

قال (نور) بحزم هذه المرة :

ـ لا يا سيّدى .

كان الصوت أقرب إلى الصراخ وهو يقول :

ـ إذن فأنت ترفض الاعتراف بالضرر الذى يحدثه أسلوبك .

أسبل (نور) عينيه وهو يقول بهدوء :

ـ أرفض تمامًا .. فلم يحدث أن تسرّب منهم سرّ أى عملية حتى الآن .

صرخ الصوت بانتصار :

ـ لقد قلتها ، حتى الآن .. وماذا يمكن أن يحدث فيما بعد ؟ . ألا تعلم أن ....

وقبل أن يكمل الصوت حديثه ، سمع (نور) صوت أزيز ينتقل عبر الآلات المكبّرة للصوت ، ثم سمع تكّة صغيرة .. يبدو أن المحقق يتلقّى رسالة ما .. وعبر الميكروفونات الدقيقة تناهى إلى أذن (نور) صوت المحقق يقول :

ـ نعم يا سيّدى القائد إنه هنا .. إننى أحقق معه بنفسى يا سيّدى .. نعم بشأن استخدامه للمدنيين .

ثم ساد الصمت فترة ، عاد الصوت بعدها يقول فى توتر :

ـ ولكن يا سيّدى .. اللوائح .... الـ ....

كان واضحًا أن المحقق يواجه موقفًا صعبًا ، لم يكن من العسير على (نور) أن يستنتج أنه يتحدث إلى القائد الأعلى بنفسه .. وعاد يستمع إليه وهو يقول فى توتر زائد :

ـ أمرك يا سيّدى القائد ، سنحفظ التحقيق .. ماذا ؟ حسنًا .. سأرسله فى الحال .



كان واضحًا أن المحقق يواجه موقفًا صعبًا ..

ثم سمع (نور) تكة أخرى ، ساد الصمت بعدها فترة ، ثم أتى صوت المحقق يقول فى ضيق :

ـــ النقيب (نور) .. لقد أمر القائد الأعلى بحفظ التحقيق ، وهو يطلبك الآن فى مكتبه .

قام (نور) واقفًا ، وترك المقعد الذى عاد إلى مكانه فى الحائط بهدوء ، وقال (نور) قبل أن يغادر الغرفة :

ـــ شكرًا يا سيّدى ، وأرجو أن تلتزم الحذر فى المرة القادمة .. فمن الخطأ أن تترك أجهزة الاستماع مفتوحة حين تتحدث إلى القائد الأعلى مباشرة .. كان من الممكن أن يكون الجالس إلى المقعد جاسوسًا خطيرًا .

نقلت أجهزة الاستماع تمتمة غاضبة إلى أذن (نور) قبل أن يغادر الغرفة .. وما هى إلا لحظات حتى كان يهبط بالأنبوب الزجاجى المضاء باللون البنفسجى الهادئ .. كان هذا يذكره بالمرة الأولى التى قابل فيها القائد الأعلى شخصيًا .. وسرعان ما كان يؤدّى التحية العسكرية وهو يقف أمام قائده الأعلى ، فابتدره قائلًا :

— مرحبًا أيها النقيب ، تسعدنى رؤيتك هذه المرة .. لا بد أن المحقق قد ضايقك بأسئلته .

ثم قطّب حاجبيه الكثيفين وهو يقول :

— تبًا لهؤلاء الإداريين !! نواجه نحن قضايا تهدد الأمن العام ، ويتحدثون هم من مكاتبهم عن اللوائح والروتين .

ومال إلى الأمام بغتة وهو يقول لـ (نور) :

— ما معلوماتك عن السفر عبر الزمن أيها النقيب ؟

أصابت الدهشة (نور) من هذا السؤال المفاجئ ، فازدرد ريقه وقال :

— كل معلوماتى فى هذا المجال تعود إلى نظرية قديمة ، وضعها العالم (ألبرت أينشتين) فى منتصف القرن العشرين تقول : إن الزمن هو البعد السابع للمادة ، وما دام الزمن مادة فإنه من الممكن التحرّك من خلاله ، أمامًا وخلفًا .. وهذا الجزء من النظرية يمثل حلمًا قديمًا للعلماء ، وهم يحاولون تحقيقه ، من سنوات عديدة .

عاد القائد الأعلى يستند برأسه إلى مقعده ، وهو يقول بابتسامة خفيفة :

— يبدو أن هذا الحلم سيتحوّل إلى حقيقة فى القرن الثلاثين أيها النقيب .

رفع (نور) حاجبيه فى دهشة وهو يسأل :

— ما الذى يجعلك تجزم بذلك يا سيّدى القائد ؟

اتسعت ابتسامة القائد الأعلى وهو يقول ، مركزًا بصره على وجه (نور) :

— لأن لدينا هنا زائرًا أيها النقيب ، زائرًا من القرن الثلاثين .

تحوّلت دهشة (نور) إلى ذهول وهو يردّد :

— مستحيل .. كيف ؟ ..

استند القائد الأعلى إلى مكتبه ، وقال :

— منذ ثلاثة أيام فقط ، ظهر هذا الرجل بالقرب من مدينة أسوان .. كان يرتدى ملابس مصنوعة من مادة جديدة مضادة للاحتراق ولأشعة الليزر ، وكان

مصابا بحالة من الذهول .. وبسبب غرابة موقفه تم التحفظ عليه بواسطة مكتبنا هناك ، كما تم إرسال رسالة عاجلة إلى الإدارة هنا ، وتم إحضار الرجل صباح أول أمس .. وباستخدام بعض الأشعة المنشطة للذاكرة ، بدأ يتذكَّر شيئًا مما حدث .

كانت حواس (نور) كلها منتبهة ، وقد تابع القائد الأعلى قوله :

ـــ ولقد أخبرنا بمعلومات يصعب تصديقها للمرة الأولى .. يقول : إنه كان يعمل فى أحد المعامل التابعة للمباحث العلمية فى القرن الثلاثين ، وأن هذا المعمل كان قد نجح أخيرًا فى اختراع ما يسمى بآلة الزمن ، أو (الكرونوساف) ، وتطوَّع هو لتجربتها .. وكان من المفروض أن تنقله الآلة إلى القرن الأربعين ، لتعرُّف بعض المنجزات العلمية فى ذلك القرن المتقدم .. ولكن يبدو أن خللًا ما أصاب الآلة ، فنقلته إلى القرن الحادى والعشرين بدلًا من القرن الأربعين .

كانت علامات عدم التصديق تبدو واضحة على وجه النقيب (نور) ، فابتسم القائد الأعلى وهو يقول :

ـــ كنت أعتقد أن الدهشة قد أصبحت سلعة قديمة فى هذا العصر أيها النقيب .. ولكن التعبيرات المرسومة على وجهك تؤكد خطأ هذا الاعتقاد .

تردَّد (نور) لحظة ، ثم قال :

ـــ ولكن يا سيِّدى ، السفر عبر الزمن أمر غير مقبول منطقيًا .. فلنتصوَّر أن رجلًا عاد إلى الماضى ، وقابل جدَّه مثلًا .. أو أحد الشخصيات البارزة فى التاريخ ، ثم قتله وهو طفل .. إن ذلك يغيِّر أحداث التاريخ تمامًا ، بل ربما أدى هذا التغيير إلى عدم إنجاب هذا الشخص نفسه .. فماذا يحدث له حينذاك ؟.. هل يختفى ؟ كثير من التصوُّرات تتنافى مع الفكرة تمامًا يا سيِّدى القائد ..

قطَّب القائد الأعلى حاجبيه وقال :

ـــ لو أن الأمر بهذه البساطة أيها النقيب ، ما عكف العلماء على دراسة هذه النظرية بكل هذا الاهتمام .. إننى أعلم أنك تمتلك عقلية علمية ممتازة ، فلا تدفعنى لتغيير هذه الفكرة .

وبينما صمت (نور) فى ضيق ، تابع القائد الأعلى قوله :

ـــ وبالرغم من إحاطة خبر وصول هذا الزائر بالسرّية المطلقة ، إلا أن بعض الأخبار قد تسرّبت ؛ ولهذا فقد تعرّض رجلنا أمس إلى الاختطاف .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وسأل قائده :

ـــ الاختطاف ؟ هل تعنى يا سيّدى أنه قد خرج من مبنى الإدارة وحده ؟ وما السبب فى أهمية هذا الزائر الذى يدّعى أنه من المستقبل ؟

زفر القائد الأعلى فى ضيق وقال :

ـــ لقد خرج أمس بناء على طلبنا ليتفقّد بعض المواقع ، حتى يخبرنا عما تحوّلت إليه فى زمنه ، أعنى فى

القرن الثلاثين .. ثم إن أهمّية هذا الرجل ترجع إلى أن كل ما يعتبر فى الوقت الحالى أسرارًا هامة ، يعتبر بالنسبة إليه مجرد تاريخ ، وهذا يفيد الجهة التى تحصل عليه إفادة بالغة ..

سأل (نور) باهتمام :

ـــ ولماذا لا يتم الاحتفاظ به هنا يا سيّدى ؟

أجابه القائد الأعلى بنفس الاهتمام :

ـــ لأن هذا الوضع سيعطيه الشعور بأنه أسير ، وهذا الشعور سيدفعه بالطبع إلى عدم التعاون معنا بصدق ، ثم إن تفقده للمواقع مفيد جدًّا .. فمن المهم أن تعلم ماذا سيحدث فى بقعة ما بعد ألف عام من الآن ، فهذا ربما أدى إلى كشفك أهمية بقعة مهملة .. وفى الوقت نفسه لا أستطيع إحاطته بالحرس المسلح ، فهذا يغرس فيه شعورًا بالخوف والحذر .. الأهم من هذا كله أننا نحتاج إلى تنشيط ذاكرته ، بشأن بقعة معينة بجوار مدينة السويس .

صمت القائد الأعلى قليلًا ، ثم عاد يقول :

ــ فهناك دراسة سرِّية للغاية تم منذ أكثر من شهر ، حول إقامة مولِّد دائم للطاقة فى هذه البقعة ، ومن المفترض أن يعمل بكفاءة مدة ألفى عام على الأقل من الآن .. وسوف تستخدم مادة مشعَّة جديدة فى تشغيل هذا المولِّد ، ومن المهم لنا أن نعلم ما إذا كان هذا المولِّد سيظل يعمل بنفس كفاءته حتى القرن الثلاثين أم لا .. ولقد رأى علماء النفس أن الوسيلة المثلى لتنشيط ذاكرة زائر المستقبل حول هذه النقطة ، هى أن يزور المكان بدون أن يشعر أنه تحت المراقبة .. وبمعنى أصح أن يظل فى حالة نفسيَّة جيِّدة .. ومهمتك أيها النقيب (نور) هى أن تقوم بمرافقة الرجل ، وحراسته طوال مدة الزيارة وحتى تنشط ذاكرته .. وفقك الله .

كانت العبارة الأخيرة تعنى أن الحديث قد انتهى ، ولكن (نور) تردَّد قليلًا قبل أن ينصرف ، ثم سأل القائد الأعلى :

ــ هل يمكننى يا سيِّدى أن أحيط بتفاصيل محاولة الاختطاف ؟

قال القائد الأعلى :

ــ ستجد فى الخارج شريط فيديو مجسمًا ، يحتوى على إجابة كافية لكل تساؤلاتك أيها النقيب .

أدَّى (نور) التحية العسكرية ، ثم استدار واتجه نحو باب غرفة القائد الأعلى ، وقبل أن يصله جاءه صوته يقول :

ــ يمكنك الاستعانة بفريقك أيها النقيب ، ولا تكترث بهؤلاء الإداريين .

* * *





٢ ـــ نبوءة عجيبة ..

أخذ (نور) يقود سيارته الصاروخية بمهارة ، متعمدًا الإبطاء من سرعتها ، ليسمح للشاب الجالس إلى جواره بالتطلع إلى الطريق .. كان يلقى بنظرة سريعة بين حين وآخر على هذا الشاب .. كان يرتدى زيًا بسيطًا مكونًا من قطعة واحدة ، من مادة تجمع بين النعومة والقوة ، بها بعض اللمعان الخفيف .. وما هي إلا دقائق حتى قال الشاب دون أن يلتفت إلى (نور) :

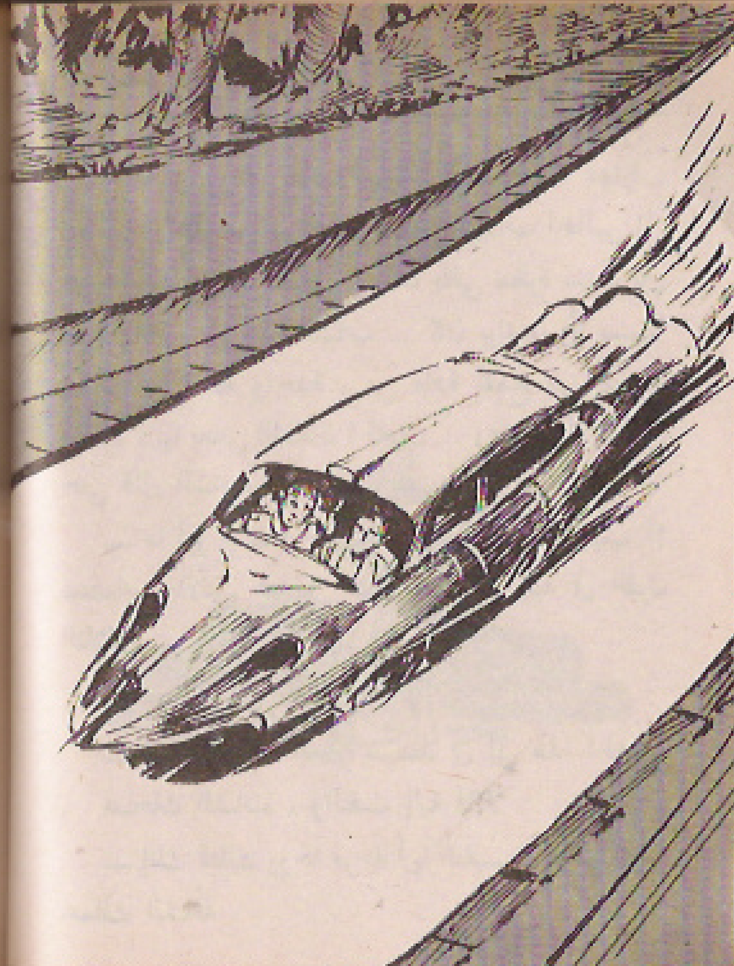
ـــ ما أروع هذا الطريق فى زمنكم أيها النقيب !! ستصاب بالأسى عندما أخبرك عما آل إليه فى القرن الثلاثين .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ لا أعتقد أن العمر سيمتد بى إلى هذا الحد .

ضحك الشاب ، والتفت إليه قائلًا :

ـــ إنك تمتلك روحًا مرحة أيها النقيب ، برغم طبيعة عملك الشاقة .



أخذ (نور) يقود سيارته الصاروخية بمهارة ..

قال (نور) وهو يراقب الطريق بدقة :

ــ ليس عملي شاقًا إلى هذا الحد أيها الزميل .. أخبرني : هل ستظل الجريمة على ما هي عليه في القرن الثلاثين ؟

أجابه الشاب وهو يلتفت مرة ثانية إلى الطريق :

ــ لا بد من اللون الأسود دائمًا لتمييز اللون الأبيض أيها النقيب ، والجريمة جزء من طبائع البشر ، ولن تتغير هذه حتى نهاية العالم .

ثم صاح فجأة وهو يشير إلى تبّة قريبة :

ــ مرحى !! أليس هـذا مركـز المراقبـة الجوّى الخامس ؟

ارتفع حاجبا (نور) دهشة .. فلقد كان هذا المركز المقام تحت الأرض ، من الأماكن التي تحاط بالسرّيّة المطلقة .. فكيف تعرّف إليه هذا الشاب ؟ وسرعان ما زالت دهشة (نور) ، وابتسم وهو يقول للشاب :

ــ هل هذا أيضًا مذكور في كتب التاريخ في القرن الثلاثين ؟

ابتسم الشاب وهو يقول :

— من حسن الحظ أننى كنت أهتم بقراءة التاريخ ، وإلا ما تذكرت هذا أبدًا .

قال (نور) وهو يشير إلى لافتة ضخمة بجوار الطريق :

— ها قد وصلنا إلى السويس ، سنلتقى ببضعة أصدقاء فى فندق القناة هناك ، وأنا واثق أنك ستجدهم فى غاية الودّ .

ما أن هبط (نور) من سيارته الصاروخية حتى اندفعت نحوه (سلوى) ، وهى تصيح فى فزع :

— مرحبًا أيها القائد .. نحن فى انتظارك هنا منذ أكثر من ساعة .

صافحها (نور) وهو يقول مبتسمًا :

— مرحبًا يا عزيزتى (سلوى) .. مضى شهر كامل منذ آخر مقابلة لنا .

قالت (سلوى) وقد دفع الحياء الدم إلى وجنتيها :

— بل سبعة وعشرون يومًا فقط .

ثم خفضت وجهها فى خجل عندما أتى صوت (رمزى) يقول :

— مرحبًا أيها القائد .. كم يسعدنى لقاؤك .. ترى لِمَ تحتاج إلينا هذه المرة .

صافح (نور) (رمزى) بحرارة ، وتبادل بعض عبارات المجاملة مع (محمود) ، الذى أتى من خلفه ، ثم التفت إلى الشاب القادم بصحبته ، وقال :

— يسعدنى أن أقدم لكم الزميل (مدحت منصور) ، الزائر الوحيد الذى قدم إلى عصرنا من القرن الثلاثين .

قفزت الدهشة إلى وجوه الجميع ، على حين هزّت (سلوى) رأسها قائلة :

— يبدو أننى أعانى بعض المتاعب فى الأذن الداخلية .. تصوّر أننى سمعتك تقول : القرن الثلاثين .

قال (نور) وهو يتحرك نحو كمبيوتر الاستقبال بالفندق :

— ربما انتقلت هذه المتاعب إلى عقلك يا عزيزتى ، عندما أقص عليكم القصة بأكملها .. هيَّا ، سأجتمع بكم بعد قليل فى غرفتى .

وما هى إلا ساعة ، حتى كان (نور) قد انتهى من شرح الأمر كله لرفاقه فى غرفته .. فساد الصمت فترة ، ثم قالت (سلوى) وهى تتأمل (مدحت) :

— إذن فأنت قادم من القرن الثلاثين .. ما أعجب هذه القصة !! ..

ابتسم (مدحت) ، وقال وهو يستند إلى مقعده :

— هناك الكثير مما يثير الدهشة فى القرن الثلاثين يا آنسة .. وأرجو أن تتقبَّلوا اعتذارى إذا قلت : إننى أشعر أن هذا العصر متخلِّف للغاية .. إن ملابسك هذه يا آنسة تصلح لوضعها فى المتحف .

قطَّبت (سلوى) حاجبيها ، ونظرت إليه شذرًا ، وقد سأله (محمود) :

— ألم ترِدْ واقعة قدومك إلى القرن الحادى والعشرين فى كتب التاريخ فى عصرك ؟

ابتسم (مدحت) وهو يقول :

— بالطبع .. ولكن دون ذكر اسم الزائر ، ولكننا كنا نتصوَّر أن ذلك سيحدث فى مرحلة متقدِّمة ، بعد تعميم استخدام آلة الزمن ..

سأله (رمزى) باهتمام :

— هل تعنى أنكم كنتم تنوون تعميم استخدام آلة الزمن ؟

قال (مدحت) وهو يهزّ رأسه :

— ليس بالمعنى المفهوم .. كنا سنسمح باستخدامها للتوجُّه إلى المستقبل فقط ، على حين يمنع السفر بها إلى الماضى ، خوفًا من تدخل المسافر فى التاريخ .

قالت (سلوى) فى ضيق :

— إذن فنحن بالنسبة لك مجرد ماضٍ أيها الزميل .. تاريخ قديم مملّ .

ضحك (مدحت) وقال :

— ليس مملًا أبدًا ، بل على العكس مثير للاهتمام .. فمن الممتع أن أشاهد بعينى ما قرأته فى كتب التاريخ .

ثم قام واقفًا وهو يقول :

ــ اسمحوا لى أيها السادة أن أستريح قليلًا . فى غرفتى .. فلقد غاب عن ذهنى إحضار بعض حبوب النشاط معى إلى عصركم .

أومأ إليه الجميع برءوسهم إيجابًا ، فغادر الغرفة بهدوء ، ولكنه تعثر بالباب ، فأسرع إليه (نور) ، فقام (مدحت) واقفًا وهو يشير إلى (نور) :

ــ لا عليك يا صديقى ، لم أعتد بعد على هذه الأرضيات الثابتة .

ثم غادر الغرفة ، وأغلق الباب خلفه .. وما أن فعل حتى التفت (محمود) إلى (نور) وسأله :

ــ ألا يحتمل أن يكون الأمر كله مجرد خدعة أيها القائد ؟

قال (نور) وهو يهز رأسه نفيًا :

ــ من الصعب ذلك يا (محمود) .. لقد أخبرهم فى الإدارة بعدد من الأسرار التى تدخل فى نطاق السرّيّة

البالغة ، والتى تحفظ بدقة تامة فى غرفة الميكروفيلم الخاصة فى الإدارة .. ثم إن علماء مركز الأبحاث عندنا يثقون فى قصته جدًا ، ومهمتنا أن نقوم بحراسته ، حتى يمكن لذاكرته أن تخبرنا بمعلومة هامة نحتاج إليها .

قالت (سلوى) فى ضيق :

ــ نقوم بحراسته ؟ وما شأننا بذلك ؟ ثم لماذا نفعل هذا ؟

أجابها (نور) بابتسامة هادئة ، وقال :

ــ لقد تعرّض لمحاولة اختطاف فى أثناء تجوّله فى منطقة الجيزة .. إذ حاولت سيارة صاروخية تحمل رجلين اعتراض طريقه ، وإدخاله السيارة بالقوّة ، لولا يقظة فريق الحراسة الذى كان يتبعه فى سرّيّة .. ولقد قتل فريق الحراسة أحد الرجلين ، وقد فرّ الثانى بالسيارة ، مستغلًّا ازدحام الطريق بالمارة .

سأله (رمزى) باهتمام :

ـــ هناك من يعلم بقصته إذن .. وماذا علينا أن نفعل ؟

صمت (نور) لحظة وعاد يقول :

ـــ لست أدرى بالضبط ، وإنما أرسلت فى طلبكم ؛ لأننى كنت أحتاج إلى مجموعة متجاوبة ، تشاركنى هذا العمل السخيف .

وقبل أن ينطق (رمزى) بكلمة سمع الجميع طرقًا على الباب .. ثم دخل (مدحت) ، وكان يبدو مرتبكًا وهو يقول :

ـــ معذرة ، أليس اليوم هو الخامس من شهر مايو ؟

أجابه (نور) بلهجة متعجِّبة :

ـــ بلى .. لماذا تهتم بتاريخ اليوم ؟

ألقى (مدحت) نظرة سريعة إلى الساعة الذرِّية المعلقة على الحائط ، وقال :

ـــ لأنه من المصادفات العجيبة أننا حضرنا فى هذا اليوم بالذات إلى السويس .

سأله (محمود) باهتمام :

ـــ ماذا تعنى بذلك ؟ هل يذكرك هذا التاريخ بحدث ما ؟

أجابه (مدحت) بلهجة آسفة :

ـــ نعم للأسف أيها السادة .. بعد ربع ساعة فقط ، وفى الخامسة وسبع عشرة دقيقة بالضبط ، سينفجر الخزان الذى يمد المدينة بأكملها بمياه الشرب النقية .

حدَّق فيه الجميع فى دهشة ، ثم صاح (محمود) :

ـــ هل .. هل أنت واثق من التاريخ ؟

وهنا قفز (نور) نحو آلة التليفيديو ، وضغط أزرارها بعجلة ، فظهر على شاشتها وجه رجل بوليس شاب ، قال له (نور) بسرعة :

ـــ أرجو إخلاء المنطقة المحيطة بخزان المياه بسرعة .. عندى معلومات مؤكدة عن حدوث انفجار به فى الخامسة وسبع عشرة دقيقة بالضبط ..

قال رجل البوليس بقلق :

ـ من أنت يا سيّدى ؟.. من أين أتتك هذه المعلومات الخطيرة ؟

صاح فيه (نور) :

ـ أنا النقيب (نور) ، من إدارة المخابرات العلميّة .. اعتبر هذا أمرًا أيها الشرطىّ .. يجب أن يتم إخلاء المنطقة فى الحال .

ثم أغلق الاتصال والتفت إلى (مدحت) قائلًا :

ـ لماذا لم تتذكّر هذا الحادث من قبل ؟

هزّ (مدحت) رأسه آسفًا وهو يقول :

ـ لقد تذكّرته حين وقع بصرى على النتيجة الضوئية المعلقة فى غرفتى ، وهرعت إلى هنا فى الحال .

قال (رمزى) :

ـ لو أنك تذكّرته منذ ساعة واحدة فقط ، لأمكن تفادى الأمر .

هزّ (مدحت) رأسه بقوة نفيًا ، وهو يشير بإصبعه قائلًا :

ـ مستحيل .. لا يمكنك تغيير الماضى أيها الشاب .. هذا مستحيل .

قال (نور) بحدّة :

ـ وماذا عن المستقبل ؟ أليس هذا الانفجار مستقبلًا بالنسبة لنا ؟

أشاح (مدحت) بيده فى ضيق وهو يقول :

ـ ولكنه ماضٍ بالنسبة لى أنا ، ومن المستحيل تغييره .

أشارت (سلوى) إلى الساعة الذرّية المعلقة على الحائط ، وقالت لتوقف هذا الشجار المحتمل :

ـ دعنا من هذا الحديث .. انظروا إلى الوقت ، لم يعد باقيًا سوى نصف دقيقة فقط على حدوث الانفجار .

تطلّعت عيون الجميع إلى الساعة الذرّية ، وساد

الصمت التام ، حتى أن (سلوى) خيِّل إليها أنها تسمع دقات قلوبهم بوضوح .. كان التوتُّر يخيِّم على الغرفة ، على حين تابع الجميع الوقت .. باقٍ خمس ثوان .. أربع .. ثلاث .. اثنتان .. واحدة .. وفجأة دوَّى انفجار شديد زلزل أرجاء السويس ، أعقبته أصوات أبواق حوَّامات الشرطة ، وامتلأ الجوّ بدخان كثيف .

رفعت (سلوى) كفَّيها عن أذنيها ، وصاحت :

ـــ يا للهول !! لم تشهد البلاد مثل هذا الحادث منذ خمس سنوات على الأقل .

وبينما تعالت أصوات الهرج والمرج من الطريق ، التفت الجميع إلى حيث يقف (مدحت) ، الذى عقد ساعديه أمام صدره ، وابتسم برغم هول الموقف ، وقال :

ـــ ألم أقل لكم : من المستحيل تغيير الماضى ؟

نظر إليه الجميع فى ضيق ، على حين شعرت (سلوى) بغصَّة فى حلقها .

* * *

٣ ـــ معركة شرسة ..

هزَّ (نور) رأسه فى أسى وهو يقول :

ـــ من المؤسف أن الوقت لم يكفِ لإخلاء المنطقة بالكامل ؛ ولذلك أصيب عدد من المارة من جرَّاء الانفجار .

أغلقت (سلوى) عينيها وهى تقول :

ـــ يا له من حادث بشع !!

سأل (محمود) (نور) باهتمام :

ـــ هل تمكَّن رجال الشرطة من معرفة سبب الانفجار ؟

أجابه (نور) :

ـــ نعم ، عبوة ناسفة شديدة التدمير .. وهى من النوع الموقوت الذى يمكن التحكم فيه عن بعد .

رفع (رمزى) حاجبيه وهو يقول فى دهشة :

ـــ ولكن ، من الذى يفيد من تدمير خزان المياه بالمدينة ؟

قطَّب (نور) حاجبيه ، وصمت قليلًا ، ثم قال بصوت خافت :

ـــ نعم ، من يفيده هذا ؟

قالت (سلوى) فى غضب ، وهى تضرب المقعد بقبضتها :

ـــ وهذا الزائر البارد القادم من المستقبل ، يذهب إلى غرفته لينام ، غير مبال بما حدث .

أجابها (نور) ، وهو يشيح بيده :

ـــ إن كل هذا بالنسبة إليه مجرد تاريخ ، تاريخ قديم يراه بعينه ، كأنه يشاهد فيلمًا مجسَّمًا .

ثم التفت إلى (محمود) وسأله :

ـــ هل نفَّذت ما طلبته منك فى غرفة (مدحت) ؟

أجابه (محمود) :

ـــ نعم ، لقد وضعت جهاز الأشعة الصغير بجوار مدخلها ، بحيث يعطينا إنذارًا إذا ما حاول شخص آخر له ذبذبة مغايرة لذبذبة ضيفنا أن يقتحمها .. وفعلت نفس الشيء بالنسبة للنوافذ .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ عظيم ، وأنت يا (سلوى) ؟

مطَّت (سلوى) شفتيها فى ضيق ، وقالت :

ـــ جهاز التصنُّت الدقيق مثبَّت فى مصباح الغرفة .. وإن كانت هذه المهمة تضايقنى .. من المؤسف أن أضطر لحماية شخص بغيض كزائر المستقبل هذا .

وهنا رفع (رمزى) رأسه ، وقال موجهًا حديثه إلى (نور) :

ـــ لا أعتقد أن لى عملًا هذه المرة أيها القائد .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ بالعكس ، لا بد أن تخبرنا بتوقعاتك ، ما يمكن أن يلجأ إليه المختطفون .

استند (رمزى) إلى مقعده ، وقال :

ـــ من الواضح أنهم لا يضعون فى حساباتهم أرواح البشر أو منشآتهم ، وهذا طبعًا لو افترضنا أنهم هم

الذين فجَّروا الخزان .. كما أن جرأتهم واضحة فى محاولتهم الأولى لاختطاف (مدحت) .. لو أضفنا هذه الصفات إلى الطبيعة النفسية للمجرم عامة لقلنا : إنهم لن يتورَّعوا عن قتلنا ، أو حتى نسف الفندق بأكمله ، فى سبيل الوصل إلى غايتهم .

أشار إليه (نور) بإصبعه ، وقال :

ـــ هـذا سـليم جـدًا ، فيما عدا نقطـة نسف الفندق .. يجب أن تضع فى اعتبارك أنهم يريدونه حيًّا .

وفجأة ارتفع أزيز قوى فى الغرفة ، فقفز (محمود) من مقعده وصاح :

ـــ لقد اقتحم أحدهم غرفة (مدحت) .. إنه يتعرَّض لمحاولة اختطاف جديدة .

صاح (نور) وهو يندفع نحو باب الغرفة :

ـــ فلتبق (سلوى) هنا .. هيَّا بنا .

وما أن اندفع (نور) من الممر الذى يضم حجرتهم وحجرة (مدحت) ، حتى أصابت إحدى طلقات

الليزر باب الحجرة بجوار عنقه تمامًا .. كان هناك رجل يقف أمام باب حجرة (مدحت) المفتوح ، يمسك بيده مسدس ليزر حديثًا ، ويصوِّبه نحو (نور) الذى غاص بجسده إلى أسفل ، ثم قفز نحو الرجل الذى تلقَّاه بلكمة قوية بقبضته اليسرى .. فترنح (نور) قليلًا ، ولكنه لم يسقط على الأرض ، ومدَّ يده ليسحب مسدسه من جرابه ، ولكن طلقة محكمة أصابت المسدس ، فألقت به بعيدًا ، وقد تفحَّم من جراء أشعة الليزر الفتَّاكة .

لم يكن هناك من يحمل سلاحًا سوى (نور) والرجل الذى يقف أمام الغرفة .. وكان على (نور) أن يقاتل بيده العارية أمام سلاح فتاك ، ولكنه لم يتردد ، وقفز محنيًا رأسه .. وسرعان ما كانت قبضته القويَّة محكمة حول قبضة الرجل الذى حاول التخلُّص من (نور) .

لم يستغرق كل هذا الأمر سوى دقيقة واحدة ، كان (رمزى) و (محمود) قد اندفعا خلالها للإحاطة

بالرجل ، ولكن (رمزى) صرخ صرخة قوية وسقط أيضًا ، واستغل الرجل الذى يتشاجر مع (نور) هذه المفاجأة ، فدفعه بعيدًا .. ومن الغرفة اندفع رجل آخر يحمل فى يده مسدس ليزر أيضًا .. وسرعان ما اختفيا فى ممرات الفندق المتشابكة ..

أسرع (نور) نحو (رمزى) ، الذى كان ينزف بغزارة ، بعد أن أصابته طلقة الليزر أسفل القلب مباشرة ، وصاح (نور) بقوة :

ـــ الأوغاد !! أسرع يا (محمود) ، استدع رجال الإنقاذ .. بسرعة .

لم تمض خمس دقائق حتى كانت حوّامة الإنقاذ العاجل تسرع بـ (رمزى) إلى مستشفى السويس ، حيث تم إدخاله إلى غرفة العمليات الإليكترونية فى الحال .. وأمام باب الغرفة أخذ (محمود) يتحرّك جيئة وذهابًا فى توتّر واضح ، على حين جلست (سلوى) وقد غطت وجهها بكفيها ، ووقف (نور) صامتًا وقد



ثم قفز نحو الرجل الذى تلقّاه بلكمة قوية بقبضته اليسرى ..

قطّب حاجبيه .. أما (مدحت) فكان جالسًا فى صمت ، وقد ضم كفيه وأطرق برأسه ..

اقترب (نور) من (سلوى) وهو يقول هامسًا :

ـــ لا تخشى شيئًا يا عزيزتى (سلوى) .. لقد تقدم الطب حتى أصبح يحقق المعجزات.. لقد وصل إلى هنا حيًا ، وهذا يدعو إلى التفاؤل .

كان جسد (سلوى) يرتعد وهى تقول :

ـــ يؤلمنى أن يصــاب (رمــزى) من أجــل زائر المستقبل السخيف ..

ثم مالت على أذن (نور) ، وهمست بصوت باكٍ :

ـــ (نور) .. إننى أشعر بالخوف ، هذه هى المرة الأولى التى نواجه فيها صراعًا مباشرًا منذ عملنا سويًا ..

ابتسم (نور) ، وقال ليهدئ من روعها :

ـــ لا تخشى شيئًا يا عزيزتى ما دمت بجوارك .. ثم إن هذه ليست هى المرة الأولى .. هل نسيت يوم اختطفك الجاســوس ، عنــدما كنــا نبحث عن سرّ اختفــاء الصاروخ .

قطع حوارهما خروج الطبيب من غرفة العمليات الإليكترونية .. فتنهّد (نور) بارتياح عندما شاهد ابتسامة الطبيب .. فى حين أسرع إليه (محمود) يسأله :

ـــ كيف حاله ؟..

ابتسم الطبيب ، وقال وهو يربّت على كتف (محمود) :

ـــ بخير حال .. لو أن الطلقة ارتفعت سنتيمترًا واحدًا ، لأصابت القلب مباشرة ، ولعجّلت طاقتها بسرعته إلى درجة مميتة .. ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن ينجو زميلكم .. ولقد استخدمنا أشعة الليزر لإغلاق الجرح ، وسيلتئم فى يومين فقط .. مبروك .

صاح (محمود) فى جذل ، وقد انخرطت (سلوى) فى بكاء الفرح ، وابتسم (نور) فى سعادة .. واقترب منهم (مدحت) وقال :

ـــ كنت أعلم أنه سيشفى ، لم يذكر التاريخ شيئًا

عن وفاة الدكتور (رمزى) بهذه الطريقة .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وقالت (سلوى) وهى تتطلع فى وجهه :

ــ من حسن حظك أيها الشاب ، أننى الآن أشعر بسعادة غامرة ، لدرجة تمنعنى من الشعور بالضيق لأى سبب ..

سأله (نور) وهو يرمقه باهتمام :

ــ إذن فالتاريخ قد ذكر شيئًا عن (رمزى) ؟

قال (مدحت) بلا مبالاة :

ــ وعنكم جميعًا أيها النقيب .

قال (نور) ببرود :

ــ ولماذا لم تخبرنا إذن عن إصابته ؟ كان يمكننا أن نتحاشى الأمر .

هزَّ (مدحت) رأسه فى أسى ، وقال :

ــ مستحيل يا صديقى ، لن تنجح فى تغيير الماضى أبدًا .

هبَّ (نور) واقفًا ، وقال بحزم وهو يمسك ذراع (مدحت) بقوّة :

ــ فى المرة القادمة ستخبرنى أيها الزميل .. من يدرى ؟ ربما نجحنا فى تغيير مستقبلنا الذى تطلق عليه اسم الماضى .

جذب (مدحت) ذراعه من قبضة (نور) ، وقال فى غضب :

ــ هل نسيت أيها النقيب أن أية محاولة لتغيير الماضى ، ربما تؤدى إلى تغيير المستقبل بأكمله ؟ وربما يعنى هذا القضاء علىَّ شخصيًا .

ابتسم (نور) ببرود وهو يقول :

ــ هل هذا ما أقنعوك به قبل أن تركب آلة الزمن ؟

صاح (مدحت) :

ــ نعم ، وأنا مقتنع بذلك جدًا .. لن أضحّى بحياتى من أجل محاولة فاشلة لتغيير الماضى .

حدّق (نور) فى وجهه فى ضيق ، ثم استدار وغادر المكان ، وتابعه (مدحت) ببصره ، ثم التفت فى دهشة عندما همست (سلوى) فى أذنه :

ـــ أخبرنى أيها الشاب : هل ذكر التاريخ شيئًا عن زواج النقيب (نور) ؟ !!

* * *



٤ ـــ تحدّى التاريخ ..

ابتسمت (سلوى) وهى تداعب (رمزى) قائلة :

ـــ أعتقد أنك بحاجة إلى بعض العلاج النفسى بعد شفائك يا (رمزى) ، وربما أجد لك طبيبًا بارعًا فى هذا التخصُّص .

ضحك (رمزى) ، وقال وهو يتحسَّس الأربطة التى تحيط بإصابته :

ـــ آخر ما كنت أحتاج إليه هو الطب النفسى يا (سلوى) .

ثم سألها باهتمام :

ـــ لماذا لم يحضر النقيب (نور) بصحبتك هو و (محمود) ؟

تنهّدت (سلوى) وقالت :

ـــ لقد ذهبا معًا إلى منطقة قريبة من جبل (عتاقة) ، وبصحبتهما (مدحت) .. إن (نور) يريد

الانتهاء من هذه المهمة بسرعة ، بعد الحادث الذى أدّى إلى إصابتك .

قطّب (رمزى) حاجبيه ، وقال :

ــ عجيب .. لقد رافقت (نور) فترة تكفى لأن أصبح واثقًا أنه ليس من النوع الذى يهرب من المشاكل .. على العكس ، إنه من ذلك النوع الذى يستهويه الغموض ، ولا يهدأ عقله حتى يميط اللثام عن ألغازه .

هزّت (سلوى) كتفيها وقالت :

ــ ربما كان الدافع إلى رغبته هذه ، هو حالة الخطر التى تهدّدنا جميعًا .

ابتسم (رمزى) ، وقال وهو يستند إلى سريره :

ــ تهدّدنا جميعًا ، أم تهدّد شخصًا بالذات ؟.. شخصًا يهمّه .

أطرقت (سلوى) بخجل ، وقالت بصوت هامس :

ــ عليك أن تسأله هو هذا السؤال .

فى نفس اللحظة كان النقيب (نور) يوقف سيارته الصاروخية بطريقة حادّة ، ويقول للشاب الجالس إلى جواره :

ــ انظر جيدًا إلى هذه المنطقة أيها الزميل ، وأخبرنى بمَ تذكّرك ؟

قطّب (مدحت) حاجبيه ، وقال :

ــ بكارثة .. كارثة فظيعة .. كارثة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ البشرى كله .

ساد الصمت عدة ثوان ، ثم قال (نور) وهو يغادر السيارة :

ــ وما نوع هذه الكارثة يا صديقى ؟ ماذا قالت عنها كتب التاريخ فى عصرك ؟

غادر (مدحت) السيارة الصاروخية ، وتبعه (محمود) ، الذى ظل صامتًا .. على حين عقد (مدحت) ساعديه أمام صدره ، وراح يتأمل المكان ، وقد قطّب حاجبيه .. ثم قال بعد فترة من الصمت :

— أعتقد أن الأمر كان يتعلق بـ ... بمفاعل للطاقة ، ونوع جديد من النظائر المشعَّة .

تبادل (نور) النظرات مع (محمود) ، ثم سأل (مدحت) :

— وما هو نوع الكارثة ؟ . كيف حدثت ؟ ولماذا ؟

أمسك (مدحت) برأسه ، وأغمض عينيه ، وقال :

— لست أذكر ، لست أذكر بالضبط ..

أمسك (نور) بكتفه ، وقال ببرود :

— عليك أن تحاول ..

وبعد فترة صمت قليلة قال (مدحت) :

— الأمر يتعلق بالمادة المشعَّة الجديدة .. لست أذكر بالضبط كيف ستؤدى إلى الكارثة ؟! ولكن السبب كان يرتبط باسمها أو .. بتركيبها الكيميائى .. لست أذكر بالضبط .

هزَّ (نور) رأسه فى ضيق ، وقد أكمل (مدحت) قوله :

— لو أننى فقط تذكَّرت اسمها ، أو حتى تركيبها .. ربما ...

وفجأة صاح (محمود) ، وهو يشير بيده إلى نقطة بعيدة :

— انظروا ، سيارة تقترب من المكان بسرعة فائقة .

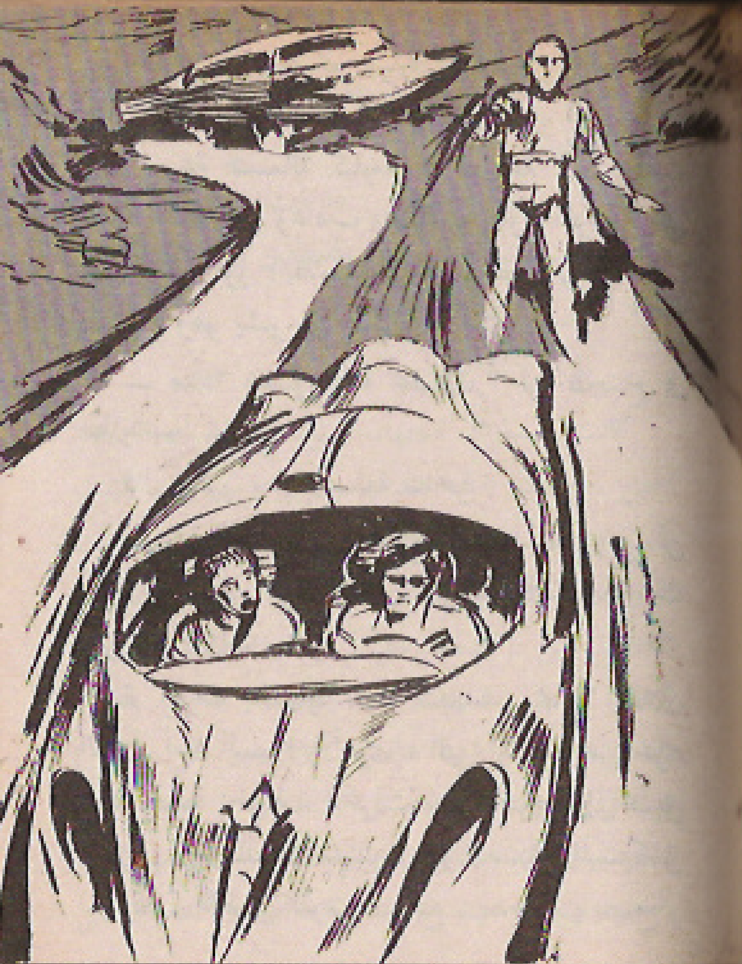
التفت (نور) و (مدحت) إلى حيث أشار (محمود) ، وابتسم (مدحت) قائلاً :

— آه .. لو تذكَّرت .. إنها محاولة أخرى لاختطافى .

حدَّق (نور) فى وجهه مرة ثانية ، ثم صاح :

— إلى السيارة بسرعة ..

وقبل أن يدلف (نور) إلى داخل السيارة ، توقفت السيارة الأخرى بجوارهم بحركة قوية ، وقفز منها نفس الرجل الذى أطلق النار على (نور) فى الفندق .. كان (محمود) و (مدحت) قد ركبا السيارة بالفعل ، ولم



وأطلق الرجل طلقة من مسدس الليزر الذى يمسكه بيده ..

يبقَ سوى (نور) ، الذى قفز محاولاً أخذ مكانه أمام عجلة قيادة السيارة ، وأطلق الرجل طلقة من مسدس الليزر الذى يمسكه بيده ، ولكنها أصابت الرمال بجوار السيارة ..

وفى اللحظة التالية كان (نور) يدير سيارته بأقصى سرعة ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها طلقة أخرى من مسدس الرجل ، أخطأت طريقها أيضًا .. وعاد الرجل بسرعة إلى سيارته ، التى انطلقت فى الحال خلف سيارة (نور) ..

وبينما كان (نور) يركِّز بصره على الطريق الرملى الطويل ويقود السيارة بمهارة ، سمع (مدحت) يقول :

— كنت أعلم أن هذه المحاولة لن تنجح .

قطَّب (نور) حاجبيه فى ضيق ، ثم قال فى حزم وهو يدير عجلة القيادة ، بحيث تدور السيارة حول نفسها ، متخذة اتجاهًا عكسيًّا :

— ربما استطعنا عكس اتجاه المطاردة .

واندفع بالسيارة نحو سيارة المختطفين .. فاستدارت هذه بحركة قوية لتتفادى سيارة (نور) ، التى كانت تمرق بسرعة خمسمائة كيلومتر فى الساعة .. ثم توقفت سيارة المختطفين ، وعادت وانطلقت محاولة الهرب ، على حين أخذ (نور) يطاردها ببراعة .. فصاح (مدحت) بفزع ، وهو يشير إلى السيارة الأخرى :

— ماذا تفعل بالله عليك ؟ لن تنجح فى مطاردتهم ..

قال (نور) فى ابتسامة ساخرة :

— ربما قالت كتب التاريخ فى عصرك : إننى لن أنجح فى القبض على المختطفين ، ولكنها قالت بلا شك إننى قد حاولت ..

ثم انحرف بالسيارة بحركة شديدة ، محاولاً إغلاق الطريق أمام السيارة الأخرى ، التى ارتبكت من جرّاء هذه الخطوة الجريئة ، فانحرفت بحدّة أخرجتها إلى طريق فرعى .. وسرعان ما استدار (نور) بسيارته ليستكمل المطاردة فى الطريق الفرعى ، وسمع (مدحت) يصيح :

— لن تنجح .. لن تستطيع تغيير التاريخ .. فلنعد إلى الفندق .

تجاهل (نور) عبارة (مدحت) ، وقام بمناورة بارعة ، اضطرت معها سيارة المختطفين إلى الانحراف إلى اتجاه الجبل ، وصاح (محمود) :

— يا إلهى !! الجبل يا (نور) .. احترس .

كانت السيارتان تتجهان بسرعة خرافية نحو أحجار الجبل ، وبحركة بارعة انحرف (نور) بسيارته ، بحيث أصبح ينطلق محاذيا لحافة الجبل .. على حين فشلت السيارة الأخرى فى القيام بهذه الحركة ، وحاول قائدها تفادى الجبل ، فضغط على (فراملها) بقوة ، فدارت السيارة حول نفسها ، ثم ارتطمت بالجبل بقوة ، وانفجرت محدثة دويًا هائلاً .. فى حين ظل (نور) مندفعًا بسيارته ، ليبتعد عن الانفجار والحجارة التى تطايرت فى كل مكان .. وسرعان ما أوقف سيارته ، وأغلق عينيه وتنهّد .. لقد كان يكره الدمار حتى

لو كان فيه إنقاذ لحياته .. ثم خيم الصمت على مَنْ فى السيارة فترة ، فى حين أخذ (محمود) و (مدحت) يتأملان الحريق الذى شبَّ بعد الانفجار ، ثم قطع (محمود) الصمت وهو يربِّت على كتف (نور) قائلًا :

ـــ رائع أيها القائد .. إنك تمتلك قلبًا من الفولاذ .

قال (نور) فى أسى ، وهو مغلق العينين :

ـــ وبرغم ذلك أشعر بالحزن والأسف يا عزيزى (محمود) .

ثم أدار محرِّك السيارة ، وانطلق بها صامتًا إلى مدينة السويس .. وحين اجتاز المدخل التفت إلى (مدحت) ، وقال وهو يبتسم ابتسامة ساخرة :

ـــ ها نحن قد نجحنا فى تغيير التاريخ يا صديقى ..

امتقع وجه (مدحت) ولم ينبس ببنت شفة .

* * *

٥ ـــ التراجع ..

فى مكتب رئيس مخابرات إحدى الدول المعادية ، قال شاب أشقر الشعر ، موجهًا حديثه إلى الرئيس :

ـــ لقد قُتِلَ رجالنا فى السويس يا سيِّدى الرئيس ، بعد مطاردة شديدة .

قطَّب الرئيس حاجبيه ، وكان بدينًا أحمر الوجه ، وقال بعد فترة من الصمت :

ـــ لكل معركة ضحاياها يا عزيزى ، المهم أن ننتصر فى النهاية ، لم نتجشَّم كل هذا العناء من أجل الفشل ، لا بد أن نحصل على ما نريد .

قال الشاب الأشقر ، وهو يضغط على أحد أزرار الكمبيوتر :

ـــ هل تعتقد أنه يستحق كل هذا العناء يا سيِّدى الرئيس ؟

قال الرئيس وهو يستند إلى مقعده :

— بالطبع ..

ثم رفع رأسه بفخر قائلًا :

— وسنحصل عليه ، وأنا واثق من ذلك .. هل نسيت أننا أعظم مخابرات العالم كله ؟

وفى نفس اللحظة كان (نور) يجلس مع فريقه فى غرفته ، باستثناء (رمزى) ، الذى كان يستكمل علاجه فى مستشفى السويس .. كان (نور) يجلس صامتًا ، على حين قالت (سلوى) :

— إذن فمشروع مولِّد الطاقة الدائم ، محكوم عليه بالفشل أيها القائد .

أجابها (نور) بصوت شارد :

— ربما يا عزيزتى (سلوى) .

قال (محمود) معقبًا :

— ولكن ما دمنا قد نجحنا فى تغيير التاريخ مرة ، لماذا لا نحاول مرة أخرى ؟

كان من الواضح أن ذهن (نور) شارد للغاية ، إذ

أنه لم ينتبه إلى عبارة (محمود) ، الذى صمت فترة ، ثم قال وهو يضع كفّه على كتف (نور) :

— ما الذى يشغل بالك أيها القائد ؟

أجابه (نور) وهو يسند رأسه إلى أحد كفّيه :

— لست أدرى يا عزيزى (محمود) .. صحيح أننا قد عرفنا مصير مولِّد الطاقة الدائم ، ولكن أشعر أن مهمتنا لم تنته بعد .. هناك ما يقلقنى .

قالت (سلوى) بصوت خافت :

— هل تعتقد أن (مدحت) سيتعرّض لمحاولات اختطاف أخرى ، برغم مصرع المختطفين ؟

قال (نور) وهو يشيح بذراعه :

— هذا أمر طبيعى .

ثم قال وهو مقطّب الحاجبين :

— لا بد أن أصطحب (مدحت) إلى المكان مرة أخرى .

سأله (محمود) باهتمام :

— هل تعتقد أنه سيوافق على ذلك ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

— ولماذا يرفض ؟ إنه يعلم ما سيحدث بالطبع .

ثم ابتسم ساخرًا وقال :

— ألسنا بالنسبة إليه مجرد تاريخ ؟

قام واقفًا واتجه نحو جهاز التليفيديو ، وضغط عدة أزرار ، وسرعان ما ظهرت صورة (مدحت) على الشاشة ..

قال له (نور) بهدوء :

— (مدحت) ، أريدك هنا فى الحال لأمر هام .

ابتسم (مدحت) ، وقال :

— أعلم ذلك يا صديقى ، تريد أن تصحبنى إلى المكان مرة أخرى .

صمت (نور) قليلًا ، ثم قال :

— هل هذا مذكور فى كتب التاريخ أيضًا ؟

ضحك (مدحت) ، وقال :

— أما زال هذا يدهشك حتى الآن ؟

أنهى (نور) الحديث والتفت إلى رفاقه ، فقالت (سلوى) :

— من المحرج أن تتعامل مع رجل يعتبرك مجرد ماضٍ .

ابتسم (نور) ، وقال :

— بالعكس ، إننى أجد ذلك طريفًا للغاية .

بعد حوالى نصف ساعة كان (نور) يوقف سيارته فى نفس المكان بجوار جبل عتاقة ، وهبط الجميع من السيارة ، وقال (نور) :

— ها هو ذا المكان مرة ثانية يا صديقى ، حاول أن تتذكر الكارثة .

ظل (مدحت) صامتًا فترة ، وهو يتأمل المكان ، ثم قال :

— كل ما أذكره أنها تتعلق بخطأ فى التركيب الكيميائى لتلك المادة المشعة الجديدة ، ولكننى لا أذكر ما هو بالضبط .

التفت (نور) إلى (محمود) وسأله :

ـ ما معلوماتك حول النظائر المشعة ؟

أجابه (محمود) :

ـ إنها عناصر عادية أو ذات طبيعة إشعاعية خاصة ، يمكن بواسطة المفاعلات الذرّية تحويلها إلى ما يسمى بالنظائر ، وهذا يعنى أنها تظل محتفظة بطبيعتها الكيميائية ، باستثناء أنها تحمل حينئذ طبيعة إشعاعية جديدة ، أو تتغير طبيعتها الإشعاعية القديمة .

سأله (نور) بنفس الاهتمام :

ـ هل ينطبق هذا على أى عنصر ؟ الحديد مثلاً ؟

أجاب (محمود) :

ـ كان هذا صعبًا فى القرن الماضى ، ولكن مع بداية القرن الحادى والعشرين أصبح ذلك ممكنًا .

قاطعهما (مدحت) قائلاً :

ـ أما فى القرن الثلاثين يا صديقى ، فقد أصبح هذا أمرًا فى غاية البساطة .



قال (نور) : « هاهو ذا المكان مرة ثانية يا صديقى » .

ابتسم (نور) ساخرًا ، وقال :

— أعتقد أن بقاءك فى عصرنا المتخلّف هذا سيملؤك بالملل يا صديقى ، لا بد أن نعمل على محاولة إعادتك إلى عصرك المتقدّم .

قالت (سلوى) :

— ألا يمكنك أن تتذكّر شيئًا يا (مدحت) ؟

قال (مدحت) وهو يشير إلى المكان بيده :

— بلى ، أذكر الكثير ، لو أننى فقط تذكّرت التركيب .

قاطعه (نور) وهو يقول ببرود وحزم :

— حسنًا .. هيّا بنا ، سنعود إلى الفندق .

طوال رحلة العودة لم يتحدّث أحد منهم ، كان الصمت يخيّم على الجميع .. ولكن حين هبطوا من السيارة أمام الفندق قال (نور) :

— عليكم بالاستعداد للعودة إلى القاهرة ، فور خروج (رمزى) من المستشفى فى الصباح الباكر .

حدّق الجميع فى وجهه وسألته (سلوى) :

— ولكن .. المهمة التى أتينا من أجلها ؟

أجابها (نور) ببرود وهو يغلق السيارة :

— سأبلّغ القائد الأعلى بفشلها الآن .

* * *



٦ ـ الخدعة ..

رفع (رمزى) رأسه من الفراش فى دهشة وصاح :

ـ فشل المهمة ؟ .. مستحيل .. هل أخبركما (نور) نفسه بذلك ؟

هزّت (سلوى) رأسها فى أسى ، وقالت :

ـ نعم ، وهو يرسل الآن رسالة إلى القائد الأعلى ، يبلّغه فيها ذلك .

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا بقوة ، وقال :

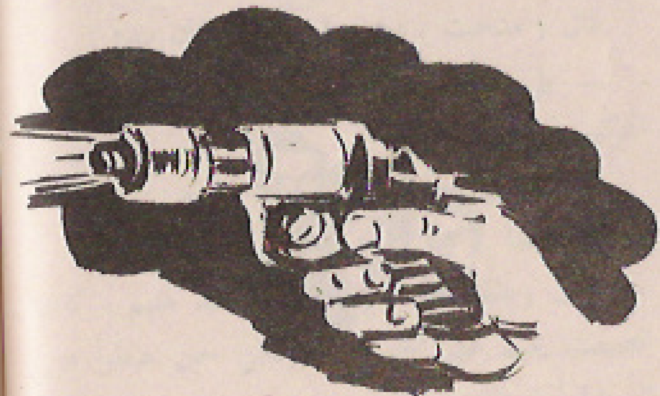
ـ أقول لكما مستحيل ، ليست هذه طبيعة النقيب (نور) .

حدّق (محمود) فى وجهه ، وقال فى اهتمام :

ـ ولكنه أخبرنا هو نفسه بذلك يا (رمزى) .

مال (رمزى) بجسده إلى الأمام ، وقال فى حزم :

ـ حتى ولو قالها .. اسمع يا صديقى ، لقد تعمّقت فى الطب النفسى وأحببته ، حتى أننى أصبحت أثق فيه أكثر من سمعى وبصرى .



ثم عاد يستند إلى الفراش ، ويقول :

ــ ولقد كنت قريبًا من (نور) ، إلى الدرجة التى تجعلنى أجزم بتصرفاته مُسبقًا .. إنه ليس من النوع الذى يتراجع أمام الصعاب ، ولن يتنازل عن المهمة التى أسندت إليه مهما يحدث ، ومهما تكن التضحيات .. ولو كان قد قال إنه سينسحب ، فإن ذلك يعنى أنه يعد خطة جديدة ، وهو بطبيعته كتوم .

قالت (سلوى) فى تردُّد :

ــ ولكنك أخبرتنى سابقًا أنه يمكن أن يتراجع من أجل ....

قاطعها (رمزى) مبتسمًا :

ــ تقصدين من أجلك ؟ لا يا عزيزتى .. لقد أخبرتك أنه يمكن أن يتعجل فى إنهاء المهمة من أجلك ، لا أن يتراجع عنها .. لن يتراجع (نور) عن مهمة حتى ولو كان هو ضحيتها .

فى نفس اللحظة كان (نور) يقف أمام كمبيوتر

الاستقبال بالفندق ، ويقول :

ــ أريد قائمة بكل الأجانب المقيمين فى الفندق ، سأعطيك الكود الخاص برجال الأمن فوق العادة .

ثم أدخل بطاقة ممغنطة خاصة فى التجويف الصغير بجوار الكمبيوتر ، وسرعان ما خرجت من فتحة مجاورة ورقة صغيرة بها خمسة أسماء ، قرأها (نور) بتمعُّن ، ثم قال :

ــ خمسة أسماء فقط ، هذا حسن ، يمكننا اختصارها إلى ثلاثة لو استثنينا السفير وزوجته ، إنهما ينتميان إلى دولة صديقة .. لا بدَّ إذن أن نتحرَّى عن الأسماء الثلاثة الأخرى بدقة .

بعد حوالى ساعة كان (نور) يجلس فى غرفته ، عندما وصل (محمود) و (سلوى) .. قالت (سلوى) حين رأت (نور) يجلس باسترخاء :

ــ مرحبًا أيها القائد ، هل تحدثت إلى القائد الأعلى ؟

قال (نور) بصوت هادئ وابتسامة :

— نعم ، لقد أخبرته بكل شيء ، ولكنه لم يصدّق .

قال (محمود) وهو يجلس بجواره :

— و (رمزى) أيضًا لم يصدّق ذلك حين أخبرناه به .

ابتسم (نور) ، وقال :

— ربما أمكننى إقناعه كما فعلت مع القائد الأعلى .

هزّ (محمود) رأسه وهو يقول :

— لا بدّ أن ذلك قد أحزنه جدًّا .

ابتسم (نور) ولم يعقّب على عبارة (محمود) ، ثم التفت إلى (سلوى) وسألها :

— كيف حال طبيبنا النفسى اليوم ؟

قالت (سلوى) وهى تبتسم ابتسامة باهتة :

— لولا قرارك إنهاء المهمة لكان فى خير حال .

أطرق (نور) برأسه صامتًا ، ثم قال :

— لقد تحرّيت الآن عن ثلاثة أجانب يقيمون هنا فى الفندق .

سألته (سلوى) فى لهفة :

— هل هذا علاقة بالمهمة أيها القائد ؟

تجاهل (نور) إجابة (سلوى) ، والتفت ينظر إلى باب الغرفة فترة ، فالتفتت (سلوى) تتأمل الباب متعجّبة ، وكذلك فعل (محمود) ، وقبل أن تسأل (نور) أسرع يقول :

— أحدهم يدعى (ستيف) ، والآخر (روجر) ، والثالث (جيمس) ، ولكننى لم أجد ما يدينهم .. سنرحل غدًا صباحًا يا رفاق كما اتفقنا سابقًا .

قطّبت (سلوى) حاجبيها ، وأخذت تتأمل (نور) ، فقد كانت تصرفاته عجيبة فى الآونة الأخيرة ... وفجأة قفزت إلى عقلها فكرة مجنونة ، فأخذت تتأمل ملامح وجه (نور) بدقة حتى سألها :

— لماذا تتأملينني بهذا الشكل العجيب ؟

قالت (سلوى) وهى تهزّ رأسها :

ـ لا شيء ، لا شيء يا عزيزى (نور) .

كانت هذه هى المرة الأولى التى تناديه بلقب (عزيزى نور) ، وبرغم ذلك لم يبد على ملامحه أنه قد لاحظ ذلك .. وهنا قالت (سلوى) بهدوء :

ـ أعتقد أنك بحاجة إلى بعض الراحة ، سأذهب أنا و (محمود) إلى غرفتينا .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ حسنًا ، سأحاول النوم قليلًا .. هذا إذا استطعت بالطبع .

غادرت (سلوى) الحجرة ، وتبعها (محمود) .. وما أن أصبحا خارجها حتى جذبته من ذراعه ، وقالت هامسة :

ـ هل لاحظت تصرفات (نور) فى الآونة الأخيرة يا (محمود) ؟

حدّق (محمود) فى وجهها فى دهشة ، وقال :

ـ من الطبيعى أن تتغيّر تصرفاته .. إنها أول مرة ينسحب من مهمة بهذه الطريقة .

هزّت (سلوى) رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ ليس هذا ما أقصده ، هل لاحظت حالة الشرود التى تنتابه ؟ سأخبرك بالفكرة التى تدور برأسى برغم جنونها .

أنصت إليها (محمود) باهتمام ، فهمست فى أذنه قائلة :

ـ إن هذا الشاب الذى يجلس بالداخل ليس هو النقيب (نور) .

حدّق (محمود) فى وجهها من الدهشة ، ثم انفجر ضاحكًا .. فقطّبت (سلوى) حاجبيها ، وقالت فى غضب :

ـ توقّف عن الضحك ، ربما بدت هذه الفكرة مجنونة ولكنها ....

قاطعها (محمود) قائلًا وهو يغالب الضحك :

— ولكنها ماذا ؟.

قالت (سلوى) غاضبة :

— اضحك كما تشاء ، سأثبت لك نظريتى .. لقد أخبرنا أنه سينام قليلًا ، أليس كذلك ؟. حسنًا سنراقب الغرفة .. أراهنك أنه سيخرج منها بعد قليل .

نظر إليها (محمود) فى جدّية ، وقال :

— سأطاوعك يا (سلوى) ؛ لأثبت لك خطأ نظريتك ..

قالت (سلوى) وهى تجذبه من ذراعه إلى ركن خفىّ :

— لن يطول الوقت ، ها هو ذا باب غرفته يفتح .

اختبأ الاثنان فى الركن ، واختلسا النظر إلى حيث غرفة (نور) ، التى خرج هو منها بهدوء ، متعمّدًا عدم إحداث صوت ما ، وسار على أطراف أصابعه إلى غرفة (مدحت) ، ثم وقف بهدوء يعبث فى مقبضها ..

همست (سلوى) فى أذن (محمود) :

— هل رأيت ؟. إنه أحد المختطفين متنكرًا فى هيئة النقيب (نور) ، لابد أن نوقفه .

اندفع (محمود) فى الحال إلى منتصف الممر ، وصاح :

— لا تتحرك .. لقد انكشفت لعبتك .. من الأفضل لك أن تستسلم .

* * *



٦ ــ الخدعة ..

رفع (رمزى) رأسه من الفراش فى دهشة وصاح :

ــ فشل المهمة ؟ .. مستحيل .. هل أخبركما (نور) نفسه بذلك ؟

هزّت (سلوى) رأسها فى أسى ، وقالت :

ــ نعم ، وهو يرسل الآن رسالة إلى القائد الأعلى ، يبلّغه فيها ذلك .

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا بقوة ، وقال :

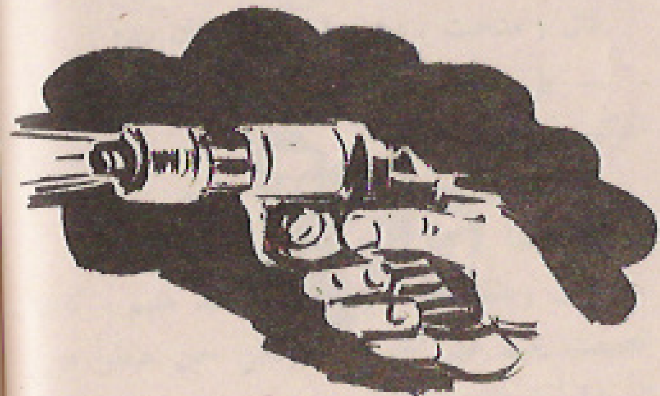
ــ أقول لكما مستحيل ، ليست هذه طبيعة النقيب (نور) .

حدّق (محمود) فى وجهه ، وقال فى اهتمام :

ــ ولكنه أخبرنا هو نفسه بذلك يا (رمزى) .

مال (رمزى) بجسده إلى الأمام ، وقال فى حزم :

ــ حتى ولو قالها .. اسمع يا صديقى ، لقد تعمّقت فى الطب النفسى وأحببته ، حتى أننى أصبحت أثق فيه أكثر من سمعى وبصرى .



ثم عاد يستند إلى الفراش ، ويقول :

ـ ولقد كنت قريبًا من (نور) ، إلى الدرجة التى تجعلنى أجزم بتصرفاته مُسبقًا .. إنه ليس من النوع الذى يتراجع أمام الصعاب ، ولن يتنازل عن المهمة التى أسندت إليه مهما يحدث ، ومهما تكن التضحيات .. ولو كان قد قال إنه سينسحب ، فإن ذلك يعنى أنه يعد خطة جديدة ، وهو بطبيعته كتوم .

قالت (سلوى) فى تردُّد :

ـ ولكنك أخبرتنى سابقًا أنه يمكن أن يتراجع من أجل ....

قاطعها (رمزى) مبتسمًا :

ـ تقصدين من أجلك ؟ لا يا عزيزتى .. لقد أخبرتك أنه يمكن أن يتعجل فى إنهاء المهمة من أجلك ، لا أن يتراجع عنها .. لن يتراجع (نور) عن مهمة حتى ولو كان هو ضحيتها .

فى نفس اللحظة كان (نور) يقف أمام كمبيوتر

الاستقبال بالفندق ، ويقول :

ـ أريد قائمة بكل الأجانب المقيمين فى الفندق ، سأعطيك الكود الخاص برجال الأمن فوق العادة .

ثم أدخل بطاقة ممغنطة خاصة فى التجويف الصغير بجوار الكمبيوتر ، وسرعان ما خرجت من فتحة مجاورة ورقة صغيرة بها خمسة أسماء ، قرأها (نور) بتمعُّن ، ثم قال :

ـ خمسة أسماء فقط ، هذا حسن ، يمكننا اختصارها إلى ثلاثة لو استثنينا السفير وزوجته ، إنهما ينتميان إلى دولة صديقة .. لا بدَّ إذن أن نتحرَّى عن الأسماء الثلاثة الأخرى بدقة .

بعد حوالى ساعة كان (نور) يجلس فى غرفته ، عندما وصل (محمود) و (سلوى) .. قالت (سلوى) حين رأت (نور) يجلس باسترخاء :

ـ مرحبًا أيها القائد ، هل تحدثت إلى القائد الأعلى ؟

قال (نور) بصوت هادئ وابتسامة :

ــ نعم ، لقد أخبرته بكل شيء ، ولكنه لم يصدّق .

قال (محمود) وهو يجلس بجواره :

ــ و (رمزى) أيضًا لم يصدّق ذلك حين أخبرناه به .

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ ربما أمكننى إقناعه كما فعلت مع القائد الأعلى .

هزّ (محمود) رأسه وهو يقول :

ــ لا بدّ أن ذلك قد أحزنه جدًا .

ابتسم (نور) ولم يعقّب على عبارة (محمود) ، ثم التفت إلى (سلوى) وسألها :

ــ كيف حال طبيبنا النفسى اليوم ؟

قالت (سلوى) وهى تبتسم ابتسامة باهتة :

ــ لولا قرارك إنهاء المهمة لكان فى خير حال .

أطرق (نور) برأسه صامتًا ، ثم قال :

ــ لقد تحرّيت الآن عن ثلاثة أجانب يقيمون هنا فى الفندق .

سألته (سلوى) فى لهفة :

ــ هل هذا علاقة بالمهمة أيها القائد ؟

تجاهل (نور) إجابة (سلوى) ، والتفت ينظر إلى باب الغرفة فترة ، فالتفتت (سلوى) تتأمل الباب متعجّبة ، وكذلك فعل (محمود) ، وقبل أن تسأل (نور) أسرع يقول :

ــ أحدهم يدعى (ستيف) ، والآخر (روجر) ، والثالث (جيمس) ، ولكننى لم أجد ما يدينهم .. سنرحل غدًا صباحًا يا رفاق كما اتفقنا سابقًا .

قطّبت (سلوى) حاجبيها ، وأخذت تتأمل (نور) ، فقد كانت تصرفاته عجيبة فى الآونة الأخيرة ... وفجأة قفزت إلى عقلها فكرة مجنونة ، فأخذت تتأمل ملامح وجه (نور) بدقة حتى سألها :

ــ لماذا تتأملينني بهذا الشكل العجيب ؟

قالت (سلوى) وهى تهز رأسها :

ــ لا شيء ، لا شيء يا عزيزى (نور) .

كانت هذه هى المرة الأولى التى تناديه بلقب (عزيزى نور) ، وبرغم ذلك لم يبد على ملامحه أنه قد لاحظ ذلك .. وهنا قالت (سلوى) بهدوء :

ــ أعتقد أنك بحاجة إلى بعض الراحة ، سأذهب أنا و (محمود) إلى غرفتينا .

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ حسنًا ، سأحاول النوم قليلًا .. هذا إذا استطعت بالطبع .

غادرت (سلوى) الحجرة ، وتبعها (محمود) .. وما أن أصبحا خارجها حتى جذبته من ذراعه ، وقالت هامسة :

ــ هل لاحظت تصرفات (نور) فى الآونة الأخيرة يا (محمود) ؟

حدّق (محمود) فى وجهها فى دهشة ، وقال :

ــ من الطبيعى أن تتغيّر تصرفاته .. إنها أول مرة ينسحب من مهمة بهذه الطريقة .

هزّت (سلوى) رأسها نفيًا ، وقالت :

ــ ليس هذا ما أقصده ، هل لاحظت حالة الشرود التى تنتابه ؟ سأخبرك بالفكرة التى تدور برأسى برغم جنونها .

أنصت إليها (محمود) باهتمام ، فهمست فى أذنه قائلة :

ــ إن هذا الشاب الذى يجلس بالداخل ليس هو النقيب (نور) .

حدّق (محمود) فى وجهها من الدهشة ، ثم انفجر ضاحكًا .. فقطّبت (سلوى) حاجبيها ، وقالت فى غضب :

ــ توقّف عن الضحك ، ربما بدت هذه الفكرة مجنونة ولكنها ....

قاطعها (محمود) قائلًا وهو يغالب الضحك :

— ولكنها ماذا ؟.

قالت (سلوى) غاضبة :

— اضحك كما تشاء ، سأثبت لك نظريتى .. لقد أخبرنا أنه سينام قليلًا ، أليس كذلك ؟. حسنًا سنراقب الغرفة .. أراهنك أنه سيخرج منها بعد قليل .

نظر إليها (محمود) فى جدّية ، وقال :

— سأطاوعك يا (سلوى) ؛ لأثبت لك خطأ نظريتك ..

قالت (سلوى) وهى تجذبه من ذراعه إلى ركن خفى :

— لن يطول الوقت ، ها هو ذا باب غرفته يفتح .

اختبأ الاثنان فى الركن ، واختلسا النظر إلى حيث غرفة (نور) ، التى خرج هو منها بهدوء ، متعمدًا عدم إحداث صوت ما ، وسار على أطراف أصابعه إلى غرفة (مدحت) ، ثم وقف بهدوء يعبث فى مقبضها ..

همست (سلوى) فى أذن (محمود) :

— هل رأيت ؟. إنه أحد المختطفين متنكرًا فى هيئة النقيب (نور) ، لابد أن نوقفه .

اندفع (محمود) فى الحال إلى منتصف الممر ، وصاح :

— لا تتحرك .. لقد انكشفت لعبتك .. من الأفضل لك أن تستسلم .

* * *





٧ ــ محاولة اختطاف جديدة ..

قطَّب (نور) حاجبيه ، وقال غاضبًا :

ــ ما معنى هــذه التصرفـات الصـبيانية يا (محمود) ؟

توقَّف (محمود) مترددًا ، ثم التفت إلى (سلوى) التى غاض الدم من وجهها ، وقالت :

ــ ولكن ، هذا صوت (نور) .

صاح فيها (نور) وهو فى أشد حالات الغضب :

ــ بالطبع هذا صوتى ، ماذا تعنين ؟

انفجر (محمود) ضاحكًا ، وقال وهو يمسك بذراع (نور) :

ــ هيَّا إلى غرفتك ، وسأخبرك بكل شىء ، برغم أنه أمر مخجل .

قال (نور) فى ضيق :

ــ هيَّا إلى غرفتك أنت يا (محمود) .

وفى غرفة (محمود) ، شرح لـ (نور) كل ما حدث ، على حين جلست (سلوى) صامتة ، وقد صبغ الخجل وجهها بلون أحمر .. وما أن انتهى (محمود) حتى التفت (نور) إلى (سلوى) ، وقال مبتسمًا :

ـ إذن فقد ظننت أننى شخص آخر يا عزيزتى (سلوى) .

أطرقت (سلوى) خجلة ، فعاد (نور) يقول :

ـ ألم يخبرك قلبك بالحقيقة يا عزيزتى ؟

امتلأت عينا (سلوى) بالدموع وهى تقول :

ـ أنا آسفة أيها القائد ، آسفة جدًا .

ربّت (نور) على كتفها ، وقال :

ـ لا عليك يا عزيزتى ، هذا يثبت أن الظواهر كثيرًا ما تكون خادعة .

ثم اعتدل فى جلسته ، وقال :

ـ سبق أن أخبرتكما بوجود ثلاثة أجانب فى هذا

الفندق ، وأننى قد قمت ببعض التحريات بشأنهم .

قال (محمود) :

ـ نعم ، ولقد أخبرتنا أنك لم تجد ما يدينهم .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ دَعْكَ من هذا .. الذى أريد قوله الآن ، هو أن أحد هؤلاء الرجال ضابط مخابرات ، تابع لإحدى الدول المعادية لنا .

نظر إليه الاثنان فى دهشة ، فتابع دون أن يلتفت لدهشتهما :

ـ لقد تم فحص بطاقة السفر التى يحملها ، وتبيّن أنها مزوّرة ، وهذا يعنى أنه هنا فى مهمة خاصة .

قالت (سلوى) باهتمام :

ـ إنه يمهّد لاختطاف (مدحت) بلا شك .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ إن عقلك يعمل بكفاءة عالية هذه الليلة يا عزيزتى (سلوى) .

تخضب وجه (سلوى) خجلًا ، وأشاحت بوجهها بعيدًا ، على حين قال (محمود) :

— لا بد من إلقاء القبض عليه فى الحال .

وقبل أن يجيبه (نور) انطلق أزيز قوى فى الغرفة ، فقفز (محمود) قائلًا :

— إن (مدحت) يتعرض لمحاولة اختطاف جديدة .

سحب (نور) مسدسًا جديدًا من سترته ، وقال مبتسمًا :

— يبدو أن هذه الليلة مليئة بالمرح .

ثم اندفع خارجًا ، وأخذ يعدو حتى بداية الممر الذى يضم غرفة (مدحت) ، وكان (مدحت) يسير بهدوء ومن خلفه شاب أشقر الشعر ، بارد الملامح ، يحمل مسدس ليزر .. وما أن شاهد الأشقر (نور) ورفيقيه ، حتى أمسك بـ (مدحت) محتميًا به ، وقال وهو يصوب سلاحه إلى (نور) :

— قف أيها الشاب ، وإلا قتلت رفيقك هذا .

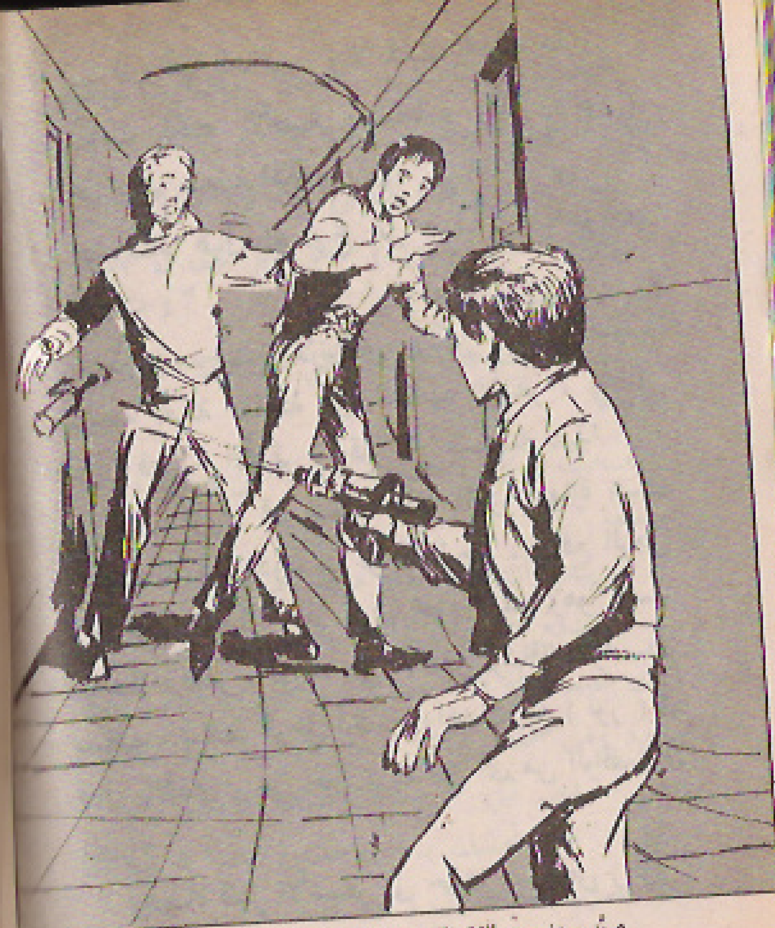
كانت لكنته الأجنبية واضحة ، وقال (نور) ساخرًا برغم صعوبة الموقف :

— ماذا قال التاريخ عن هذا ، يا عزيزى (مدحت) ؟

تردد (مدحت) لارتباكه ، ولكن (نور) صوب مسدسه بحركة مفاجئة إلى الشاب الأشقر ، وأطلق النار ، فصرخ الأشقر ، وقد طار مسدسه بعيدًا ..

كان (نور) قد صوب طلقة الليزر بمهارة بحيث أصابت المسدس دون أن تؤذى الرجل ، ودفع الرجل (مدحت) بعيدًا ، ثم جرى نحو السلم وهو يسب ساخطًا ، فقفز (نور) على الأشقر برشاقة ، وأمسك بساقيه ، فسقط الرجل أرضًا ، واشتبك مع (نور) فى قتال بالأيدى ، على حين لم يتدخل أى من الواقفين فى الصراع ..

وفجأة قفز الأشقر إلى حيث مسدس (نور)



صوّب (نور) طلقة الليزر بمهارة بحيث أصابت المسدس دون أن تؤذى الرجل .. ودفع الرجل (مدحت) بقيدًا ..

وسقطه بخفّة ، فأصابته طلقة من مسدس ليزر قوى ، فصرخ الأشقر وأمسك بكتفه حيث أصابته الطلقة ، والتفت إلى مصدرها .. كان (مدحت) يقف وقد أمسك بيده مسدس الليزر الذى كان يحمله الأشقر قبل أن يطيح به (نور) ، ورفع الأشقر مسدسه نحو (مدحت) ، وقال بحنق :

ــ يا لك من وغد !!

قفز (نور) محاولًا استغلال الموقف للقبض على الأشقر ، حين فاجأه (مدحت) بأن أطلق أشعة الليزر فى قلب الأشقر مباشرة ، فجحظت عينا الأشقر ، ثم هوَى على الأرض صريعًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

وقف (نور) مذهولًا ، وصاح بـ (مدحت) :

ــ لماذا ؟ .. لماذا فعلت ذلك ؟

ألقى (مدحت) بالمسدس فوق جثة الأشقر ، وهو يقول بهدوء :

— كان لابد أن أفعل ذلك ، لم يكن ليتورّع عن قتلنا جميعًا .

كان جسد (نور) كله يرتعد من شدة الغضب ؛ لأنه كان يكره القتل والدمار كراهية شديدة ، وهذا ما دفعه إلى التخلّى عن مسدسه فى أثناء صراعه مع الأشقر ، إذ لم يكن يؤمن بالقتل إلا للضرورة القصوى ، فصاح بـ (مدحت) :

— ولكننى كنت سألقى القبض عليه ، لقد رأيتنى أقفز عليه ، مستغلًا التفاته إليك .

أشاح (مدحت) بذراعيه غاضبًا وقال :

— ولكنه كان يصوِّب مسدسه نحوى .. ماذا كنت تنتظر منى أن أفعل ؟ أتركه يطلق علىّ النار ، أم أسبقه إلى ذلك ؟

كانت (سلوى) تستمع إلى ذلك الحوار فى صمت ، فهى تعلم مدى كراهية (نور) للقتل ،

وكانت واثقة أنه لن يغفر لـ (مدحت) أبدًا قتله الأشقر ، ما دامت هناك فرصة ولو ضئيلة للقبض عليه حيًا ؛ ولذلك أدهشها أن قال (نور) بعد فترة من الصمت ، وهو يعقد ذراعيه ويبتسم ابتسامة غامضة :

— لقد أقنعتنى يا صديقى .. كان لا بد أن تفعل ذلك فعلًا .

* * *



٨ — إلى المعركة ثانية ..

قالت (سلوى) ، وهى تضع حقيبتها فى سيارة (نور) الصاروخية :

— إذن فهذا الأشقر الذى قتله (مدحت) أمس ، هو ضابط المخابرات الذى أخبرتنا عنه أيها القائد ؟

قال (نور) وهو يغلق حقيبة السيارة :

— نعم يا عزيزتى (سلوى) ، واسمه (جيمس) .. ولكنه ليس الوحيد من عملاء المخابرات المعادية .

رفعت (سلوى) وجهها إليه ، وسألته فى دهشة :

— ماذا تعنى ؟

قال (نور) وهو يدور حول السيارة ليفتح لها الباب :

— أعنى أن هناك ضابطًا آخر من ضباط المخابرات المعادية ، ما زال طليقًا يا عزيزتى .

سألته (سلوى) متلهفة :

— من هو ؟.. (روجر) أم (ستيف) ؟

ابتسم (نور) وهو يربّت على كتفها :

— ستعلمين من هو قريبًا يا عزيزتى ، هيّا اصعدى إلى السيارة ، لقد حضر (محمود) بصحبة (مدحت) .. سنتوجّه إلى المستشفى لإحضار (رمزى) ، ثم نعود إلى القاهرة .

وبعد فترة قصيرة كان(رمزى) يصعد فى السيارة وهو يقول :

— كم اشتقت إليكم يا رفاق .. كنت أشعر بملل شديد فى المستشفى .

ضحكت (سلوى) ، وقالت مداعبة :

— هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها طبيبًا يشكو من المستشفى .

ضحك الجميع عدا (نور) ، الذى كان يقود السيارة بمهارة .. وما أن اقترب من طريق القاهرة حتى التفت إليه (مدحت) وقال :

— سنعود إلى القاهرة يا عزيزى (مدحت) ، وسنقضى بضعة أيام فى ضيافة المخابرات العلمية .

ابتسم (مدحت) وقال :

— أعلم ذلك ، لقد ذكرته كتب التاريخ فى ....

قاطعه (نور) قائلاً :

— هل تذكر كتب التاريخ فى عصرك كل هذه التفاصيل الدقيقة ؟

عاد (مدحت) يبتسم ، وهو يقول :

— حتى التاريخ يا عزيزى النقيب يتطوّر .. وأنا أقصد بالتاريخ تاريخ المخابرات العلمية بالذات .

صمت (نور) دقيقة كاملة ، ثم قال فى هدوء :

— إذن فالتاريخ يذكر أننا عدنا إلى القاهرة فى هذا اليوم بالتحديد .

أجاب (مدحت) بلهجة الواثق :

— بالطبع يا صديقى ، إن تاريخنا مدوّن بدقة بالغة .

أدار (نور) عجلة القيادة بحدّة ، وهو يقول ساخرًا :

— لن تذهب إذن ، سنعود إلى السويس ، ولنَرَ ماذا يقول التاريخ عن ذلك .

شحب وجه (مدحت) شحوبًا شديدًا ، وصاح غاضبًا :

— كفى عبثًا بالتاريخ أيها النقيب .. سبق أن أخبرتك أن هذا قد يسىء إلىّ شخصيًا .

أوقف (نور) السيارة فجأة ، فصاحت (سلوى) :

— ما هذا ؟ أنزلونى من السيارة ، إذا كنتم ستتخذونها للّهو .

تجاهل (نور) قولها ، والتفت إلى (مدحت) قائلاً :

— أخبرنى أيها الشاب : لماذا يهتم التاريخ فى عصركم بكل هذه التفاصيل الصغيرة ؟ ولماذا يهتم بنا بالذات ؟



أجاب (نور) : « سنعود إلى الفندق فى مدينة السويس » ..

صاح (مدحت) :

ـــ لقد سبق أن أخبرتك أن التاريخ مدوَّن بدقَّة .. ثم إنه يهتم بكل التفاصيل ، وهو يهتم بتفاصيل هذه الرحلة بالذات ؛ لأنها من الأحداث التى غيَّرت تفكير العالم .. ليس من المألوف أن يزور عصركم زائر من المستقبل .

أخذ (نور) يحدِّق فى وجه (مدحت) فترة ، على حين ساد الصمت فى السيارة ، حتى قال (نور) :

ـــ أحسنت ..

ثم اعتدل ، وضغط عدة أزرار ، وانطلق بالسيارة ، فسألته (سلوى) :

ـــ إلى أين أيها القائد ؟

أجاب (نور) دون أن يلتفت :

ـــ سنعود إلى الفندق فى مدينة السويس ، لن نذهب إلى القاهرة اليوم .

بعد حوالى ساعة جلس الفريق كله فى غرفة

(سلوى) فى الفندق ، فقال (رمزى) :

ـ كنت أتوقّع عودتك إلى هنا لإتمام المهمة أيها القائد ، فهذا يتوافق مع طبيعتك النفسية .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ إنك لا تستطيع التوقّف عن التحليل النفسى أبدًا يا عزيزى (رمزى) .

ثم اعتدل ، وسأله باهتمام :

ـ ما رأيك إذن فى صديقنا زائر المستقبل هذا الذى ترفض ذاكرته الاستجابة للمنشطات ؟

حكّ (رمزى) ذقنه ، وقال :

ـ هذا أمر عجيب .. كان من المفروض أن يتذكّر الأمر كله حينما يرى المكان ..

قالت (سلوى) مقاطعة (رمزى) :

ـ ألا يمكن أن يتذكّر الأمر بالتدريج ؟

صمت (رمزى) قليلًا ، ثم قال :

ـ هذا ممكن بالطبع ، ولكنه فى هذه الحالة سيذكر

أحداثًا كاملة ، وتغيب عنه تمامًا أحداث أخرى .

سأل (نور) باهتمام بالغ :

ـ هل تعتقد أن هذه الأحداث الغائبة يمكن أن تطفو فجأة ، إذا سمع هو عبارة مهمة تمكّنه من تذكّر الأحداث ؟

مطّ (رمزى) شفتيه ، وأجاب :

ـ بالطبع ، المهم هو أن نحسن اختيار هذه العبارة .

ساد الصمت فترة ، ثم قطعته (سلوى) قائلة :

ـ هناك موضوع آخر أودُّ التحدُّث بشأنه أيها القائد .

التفت إليها (نور) باهتمام ، فتابعت قولها :

ـ أنا مهندسة متخصّصة فى الاتصالات والتتبُّع ، وأشعر فى هذه القضية أنه لا يوجد عمل لى على الإطلاق .

أسكتها (نور) بإشارة من يده ، وقال :

ـ لقد أصبحنا فريقًا متكاملًا يا (سلوى) ، ليس

من المهم أن يتواجد مجال لكل منا فى كل قضية نتولاها معًا .. المهم أن التفاهم بيننا قد وصل إلى مرحلة رائعة .. يكفى أن يشير أحدنا بيده ليفهم الآخرون ماذا يريد بالضبط ، وهذه نقطة لا تتوافر بسهولة .. ثم إننا عندما نتولى القضية نكون على جهل تام بما يمكن أن نحتاج إليه لحل ألغازها ، وهذا يعنى أننا يجب أن نتواجد جميعًا .. وهناك نقطة أخيرة تحتاج إلى توضيح : لولا وجودكما ، أقصد أنت و (محمود) ، لما تمكنّا من وضع أجهزة الإنذار الإشعاعية والتصنُّت فى غرفة (مدحت) ، ولولا ذلك ما تمكنّا من إنقاذه مرتين .

ضحك (رمزى) ، وقال :

ـــ ولولا ذلك ما أصابتنى طلقة الليزر .

ضحك الجميع ، على حين ابتسمت (سلوى) ، وقالت لـ (نور) :

ـــ أشكرك على هذا التوضيح أيها القائد .

ابتسم لها (نور) فخفضت وجهها خجلًا

واتسعت ابتسامته ، والتفت إلى (رمزى) ، وسأله :

ـــ هل تعتقد أننا يجب أن نصطحب (مدحت) إلى منطقة المولد المحتمل مرة أخرى ؟

قال (رمزى) فى الحال :

ـــ نعم ، أعتقد أن هذا هام للغاية ، فربما أدّى إلى تذكُّره الأحداث بدقة .

صمت (نور) قليلًا ، ثم قال :

ـــ أعتقد أننى يجب أن أتصل بالقائد الأعلى .. هناك معلومات سرّيّة للغاية سنحتاج إليها ، لتنشيط ذاكرة (مدحت) .

قال (محمود) فى دهشة :

ـــ ولكن كيف تخبره بمعلومات سرّيّة للغاية ؟

ضحك (نور) ، وقال :

ـــ وماذا فى ذلك ؟ هل نسيت أنه متفوّق فى التاريخ .. وأن هذه الأسرار بالنسبة إليه مجرد تاريخ قديم .. كل ما فى الأمر أننا سنساعده على أن يتذكره

بسرعة ، حتى تنتهى المهمة بنجاح .

ثم صمت قليلًا ، وعاد يقول وهو يبتسم ابتسامة غامضة :

ـ سنصطحبه غدًا صباحًا إلى الوادى المجاور لجبل عتاقة ، وربما أوقع ذلك بالمختطفين .

* * *



٩ ـ مفاجأة فى الوادى ..

انطلقت السيارة الصاروخية التى يقودها (نور) إلى المنطقة الواقعة بجوار جبل عتاقة ، وبداخلها أفراد فريقه ، بالإضافة إلى (مدحت) زائر المستقبل ، وسرعان ما أوقفها (نور) فى المنطقة المنشودة ونزل منها الجميع .. وقالت (سلوى) وهى تتأمل المكان :

ـ من المؤسف أن يقام فى هذا المكان الجميل مشروع صناعى ، يشوه وجه الطبيعة الساحرة .

قال (نور) معلقًا :

ـ قد يكون لهذا المكان أهمية أكبر من جمال الطبيعة يا عزيزتى (سلوى) .

قال (محمود) وهو يتلفت حوله :

ـ أخشى أن يهاجمنا المختطفون هنا كالمرة السابقة .

قطب (رمزى) حاجبيه ، وقال :

ـ من المؤسف أننا لا نعلم طبيعة المختطفين أو مكانهم .

ألقت (سلوى) نظرة جانبية على وجه (نور) ، وابتسمت حين شاهدت الابتسامة الخفيفة التى ارتسمت على شفتيه .. كانت هذه الابتسامة تعنى بالنسبة لها أن (نور) يعلم شيئًا ما ، ولكنه يحتفظ به فى قرارة نفسه كعادته ، ثم أردفت تتأمل (مدحت) ، الذى وقف صامتًا يتطلّع إلى المكان وقد عقد ساعديه ، وسمعت (نور) يقول :

— ها هو ذا المكان للمرة الثالثة يا عزيزى (مدحت) .. هل يذكّرك بشىء ؟

قطّب (مدحت) حاجبيه ، وظل صامتًا فترة ، ثم قال :

— كل ما أذكره هو الكارثة ، كارثة رهيبة محت مدينة السويس من الوجود ، وأذكر أن هذا كان بسبب المشروع الذى أقيم فى هذه المنطقة .

سأله (رمزى) باهتمام :

— ألا تتذكّر طبيعة تلك الكارثة ؟ انفجار أو حريق أو زلزال ؟

أغلق (مدحت) عينيه ، وقال بصوت خافت :

— أعتقد أنها أقرب إلى الانفجار .. نعم ، انفجار .. لقد تذكّرت الآن ، انفجار شديد يفوق القنابل النيترونية ، انفجار محا المدينة من الخريطة .. يا لها من كارثة !!

قال (رمزى) بصوت خافت هادئ :

— كيف حدثت الكارثة ؟.. كيف حدث الانفجار ؟ حاول أن تتذكّر بهدوء يا (مدحت) .. ارجع بذاكرتك إلى الوراء .

قال (مدحت) وهو يهزّ رأسه يائسًا :

— لا أستطيع .. كل ما أذكره أن الأمر كان له علاقة بالمادة المشعّة المستخدمة .. لو أننى فقط أتذكر اسم تلك المادة .. لو أننى ....

قاطعه (نور) قائلًا فى هدوء :

— هل تعتقد أنك ستتذكّر كل شىء ، لو أنك عرفت اسم المادة ؟

قال (مدحت) باهتمام بالغ :

ـ بالطبع ؛ لأن الانفجار كان مرتبطًا بالمادة

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ حسنًا ، سأخبرك باسم هذه المادة الجديدة .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وقال (رمزى) :

ـ هل تعلم اسمها أيها القائد ؟

أجابه (نور) ببرود :

ـ لقد أخبرنى بها القائد الأعلى هذا الصباح .

قال (مدحت) متلهفًا :

ـ أخبرنى بها إذن .. ستساعدنى على تذكُّر كل شىء ، أنا واثق من ذلك .

قال (نور) وهو يتطلّع إلى وجوه الجميع بهدوء :

ـ إنها الذهب ، (الذهب ١٩٦) المشعّ ، أحدث كشف فى علمى : الكيمياء والفيزياء النووية .

ساد الصمت الممزوج بالدهشة فترة ، ثم قال (مدحت) :

ـ بالطبع ، إنها (الذهب ١٩٦) المشعّ ، كان يجب أن أتذكّر ذلك .. نعم ، لقد تذكّرت كل شىء ، لقد تذكرت سبب الكارثة .

قال (رمزى) باهتمام :

ـ حسنًا .. فكّر بهدوء ، واذكر لنا كل شىء .

استند (مدحت) إلى سيارة (نور) ، وقال :

ـ يرجع هذا إلى خطأ فى إنتاج (الذهب ١٩٦) المشعّ .. فهو يبدو طبيعيًا جدًا فى البداية ، ولكن هناك ما يسمى بفترة نصف العمر للمواد المشعّة ، وهى تلك الفترة التى تستهلك فيها نصف كتلة المادة المشعّة المستخدمة .

قال (محمود) معلقًا :

ـ هذا صحيح .

ابتسم له (مدحت) ، ثم تابع قوله :

ـ والخطأ الذى لم ينتبه إليه العلماء ، هو أنه بعد فترة طويلة ، طويلة جدًا ، ستصبح الكتلة التى ستمثل

نصف العمر بالنسبة (للذهب ١٩٦) المشعّ كتلة حرجة ، مثل تلك التى تستخدم فى تفجير القنابل الذرية .. وهنا سيتحوّل مولّد الطاقة بأكمله إلى قنبلة .. وبدلًا من (اليورانيوم ٢٣٥) المستخدم فى القنبلة الذرّية ، ستصبح الكتلة الحرجة مكوّنة هنا من (الذهب ١٩٦) .. وفى نفس اللحظة التى سيصل فيها (الذهب ١٩٦) إلى الكتلة الحرجة ، سينفجر المولّد بقوة تفوق القنابل النيترونية بعشرات المرات ، حتى أن الجوّ سيظل مغطّى بسحابة ذهبية لمدة شهر كامل ، وسيبلغ عدد الضحايا حدًّا لم تصل إليه أية كارثة منذ طوفان نوح .. ألم أقل لكم .. إنها كارثة ، كارثة لم يسبق لها مثيل ؟

خيّم الوجوم على الجميع فترة ، فى حين أطرق (مدحت) برأسه .. وفجأة ومن وسط هذا الصمت التام انفجر (نور) بالضحك .. التفت إليه الجميع بذهول ، وقالت (سلوى) فزعة :

ــ يا إلهى ، لقد أصيب (نور) بصدمة عصبية !! إنه يكره الدمار ، أنا أعلم ذلك .

قطّب (رمزى) حاجبيه ، وقال وهو يتأمل (نور) الذى استغرق فى الضحك :

ــ النقيب (نور) يصاب بصدمة عصبية ؟ لا يمكننى أن أصدّق ذلك .

انتهى (نور) من الضحك ، ثم التفت إلى (مدحت) ، وقال بسخرية بالغة :

ــ اعذرنى أيها الصديق ، لن أحتمل أكثر من ذلك .. لقد كانت قصتك مضحكة للغاية .

حدّق الجميع فى وجه (نور) فى دهشة ، على حين امتقع وجه (مدحت) امتقاعًا شديدًا .

* * *

١٠ ـ الخدعة المحكمة ..

صاحت (سلوى) فى دهشة وهى تحدّق فى وجه (نور) :

ـ لا أستطيع أن أصدق ذلك أيها القائد .. كيف يمكنك أن تعدّ هذه الكارثة الرهيبة أمرًا مضحكًا، وأنت بالذات الذى تكره الدمار ؟

قال (نور) وهو يبتسم :

ـ معذرة يا عزيزتى (سلوى) .. ولكن مشهد الحزن المرتسم على وجوهكم ، جعلنى أفقد السيطرة على نفسى ، لم أستطع أن أمنع نفسى من الضحك .

ازدادت دهشة الجميع ، عدا (رمزى) الذى ابتسم وكأنه قد فهم الأمر ، وهنا أشار (نور) إلى (مدحت) ، وقال فى حزم :

ـ كانت هذه هى الغلطة التى أنتظرها منك أيها الصديق .

شحب وجه (مدحت) ، وقال :

ـ ماذا تعنى ؟ .. هل جننت ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـ لقد سقطت يا صديقى ولا فائدة من الإنكار .. هل تعلم المثل الذى يقول : « تستطيع أن تخدع بعض الناس كل الوقت ، كما تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت ، ولكنك أبدًا لن تخدع كل الناس كل الوقت » .. لقد كان من الممكن أن أصدق قصتك المزعومة حول قدومك من المستقبل ، وخاصة أنك قد أخبرت رجالنا بعدد من الأسرار الهامة التى نحتفظ بها فى أرشيف الميكروفيلم الخاص ، والتى تُعنون بعنوان : (سرى للغاية) .. كما كان من الممكن أن تخدعنى بتنبؤاتك العجيبة ، لولا أن رفاقك أخطئوا مرة .

سأل (مدحت) بصوت مرتجف :

ـ ماذا تعنى ؟

قال (نور) :

— كان من العجيب أن يصيب رفاقك أهدافهم بمهارة ، بحيث يطير مسدس بطلقة واحدة ، ويصاب (رمزى) كذلك بطلقة واحدة ، ثم يفشلوا فى إصابة سيارتى وهى على بعد خطوات منهم .. أليس هذا مثيرًا للاهتمام ؟ رجل يطلق النار بمهارة فائقة على مسدس صغير ، يزيد قليلًا عن حجم الكف ، ويعجز فى الوقت نفسه عن إصابة سيارة صاروخية كاملة .. هذا ما شدّ انتباهى فى البداية ، وكان يبدو أنهم يريدوننا أن نهرب .. وكانت مفاجأة لك ولهم أن أتحوّل أنا إلى مطاردتهم ، برغم أنى لم أكن أحمل سلاحًا فى ذلك الوقت .. كنت تتوقّع مثلهما أننى سأكتفى بالهرب ؛ ولهذا ابتكرت نبوءتك بكل ثقة .. ولكننى خالفت التوقعات ، فوضعتك فى حيرة ، وتسبّبت للأسف فى قتل رفاقك .

هل تذكر شحوب وجهك حين أخبرتك أننى قد غيّرت التاريخ ؟ كان هذا يتعارض مع خطتكم تمامًا ..

لقد عدت إلى الفندق فى ذلك اليوم وأنا أفكّر فى كل هذا .. وأنتم تذكرون يا رفاق كيف كنت شارد الذهن فى ذلك اليوم ، ثم قرّرت اصطحابك إلى المكان مرة أخرى ، لعلى أصل إلى ما تبحث عنه ، وحين أخبرتك بذلك فوجئت أنك تعلم ما أريدك بشأنه .. لم يكن من الممكن أن تقنعنى ، أن التاريخ ذكر حتى هذا الحوار ؛ ولذلك فكرت يومها أنك تتصنّت علينا بطريقة ما ، ولكننى اصطحبتك برغم ذلك إلى المكان ، وهناك علمت السبب فى كل تلك الخدعة المتقنة .

صمت (نور) قليلًا ليزدرد لعابه ، ثم تابع قوله :

— كان من الواضح أنكم تسعون إلى معرفة اسم المادة المشعّة الجديدة التى تم اختراعها فى معاملنا .. فهذه المادة ستصنع بلا شك الكثير فى هذا العصر ، بل ربما تكون المدخل إلى عصر متقدّم جديد .. كنت أعلم أن هذه المادة هامة جدًا ، ولكننى لم أتصوّر أن تصل أهميتها إلى الدرجة التى تدفع مخابرات دولة كبيرة

كدولتك ، إلى وضع هذه الخطة المحكمة العجيبة من أجل التوصل إلى سرها .. المهم أننى عندما عدت إلى الفندق تذكرت أنك تعثرت مرة بجوار باب غرفتى ، فقمت بفحص الباب جيدًا ، وعثرت على جهاز التصنت الصغير الذى ألصقته بالباب ، وأنت تتظاهر بالتعثر .. كان من الخطأ أن أبعد الجهاز قبل أن أوقعك فى الفخ ؛ لأن هذا كان سينبهك إلى كشف أمرك .

قاطعه (محمود) قائلًا بإعجاب :

ـ لهذا كنت تطلب منا الاجتماع فى غرفتى بدلًا من غرفتك أيها القائد .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ نعم يا عزيزى (محمود) ؛ ولهذا أيضًا أخبرتكم أننى لم أجد ما يدين الأجانب الثلاثة عندما كنتم فى غرفتى ، ثم عدت أخبركم بشكّى فى أحدهم عندما ذهبنا إلى غرفتك .. كنت أعلم أن هذا سيثير فى رأسكم البلبلة ، ولكننى لم أرغب فى إخباركم بما أشك فيه حتى

تتصرفوا جميعًا وأنتم مقتنعون بقدوم (مدحت) من المستقبل ، وهذا يساعدنى بلا شك .

صاح (مدحت) ، وقد استرد بعض هدوئه :

ـ ولكن كل هذا مجرد استنتاجات ، استنتاجات فى عقلك فقط أيها النقيب .

ضحك (نور) ، وقال :

ـ لقد أخبرت بها القائد الأعلى يا عزيزى (مدحت) .. صحيح أن الأمر كان مفاجئًا له ، ولكنه استوعب الخدعة فى الحال .. لقد ضحت مخابراتكم بكل الأسرار التى حصلت عليها عن طريق عملائها ، بل بثلاثة من رجالها الأكفاء أيضًا ، فى سبيل نجاح هذه الخطة ، والحصول على سر النظائر المشعة الجديدة .

أشاح (مدحت) بذراعيه وهو يصيح :

ـ ولكن كل هذا ما زال مجرد استنتاجات .

قال (نور) وهو يبتسم :

ـ هل نسيت تلك الليلة التى أطلقت فيها مسدس

الليزر على زميلك (جيمس) فقتلته ؟

أجاب (مدحت) :

ـ ولكننى كنت أنقذ حياتكم .

قال (نور) :

ـ ولكنك أخطـأت يومهـا يا صـديقى .. لقد أخبرتنى أنك خشيت أن يطلق هو عليك النار أولًا .. لقد نسيت أنك ترتدى ثيابًا تعد أحدث ما أنتجته دولتك ، ثيابًا مضادّة للاحتراق ولأشعة الليزر .. أى أن الطلقة لم تكن لتؤذيك ، ولكنك أردت قتله لضمان نجاح الخطة .. لقد وافقتك فى ذلك اليوم عندما قلت إنه كان لابد لك أن تفعل ذلك ؛ لأننى كنت أعلم أنك قتلته حتى لا يتكلم ، حتى لا يؤدى القبض عليه إلى فشل الخطة .. كان لا بد أن نتصوّر دائمًا أن هؤلاء الرجال يريدون اختطافك ، لا أنهم يساعدونك على نجاح الخطة .. لقد تذكرت فى ذلك اليوم أن (رمزى) افترض أن المختطفين هم الذين نسفوا خزان المياه ،

ووجدت أن هذا منطقى ؛ لأنك ستعلم مسبقًا اللحظة التى سينفجر فيها الخزان ما دامت القنبلة موقوتة ، وبذلك تستطيع أن توهمنا أن هذا الأمر يعد بالنسبة إليك مجرّد ماض .

صاح (مدحت) وهو يهزّ رأسه بقوة :

ـ كل هذا مجرد استنتاجات .

ضحك (نور) ، وقال :

ـ إنك تمتلك خيالًا خصبًا يا صديقى . لقد ذكرت كارثة رهيبة فى الحال .. كانت القصة معدّة مسبقًا ، ينقصها فقط اضافة اسم المعدن المشعّ .

صاح (مدحت) :

ـ أبدًا ، القصة حقيقية ، لقد تذكرتها فى اللحظة التى أخبرتنى فيها باسم العنصر .

ابتسم (نور) بخبث ، وقال :

ـ هذا ما أوقعك يا صديقى .. لقد سقطت كغر ساذج .

قطّب (مدحت) حاجبيه ، وقال :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه (نور) بهدوء :

ـ أعنى أن المعدن المشع لم يكن أبدًا (الذهب ١٩٦) ، بل لا وجـود إطـلاقًا (للـذهب ١٩٦) المشع .

* * *



١١ ـ الخدعة المزدوجة ..

بعيدًا فى مكتب رئيس وزراء إحدى الدول المعادية ، وقف رئيس مخابرات تلك الدولة ، منكسًا رأسه أمام رئيس الوزراء ، الذى قال بغضب :

ـ ها هى ذى نتـائج خطتـك الغبيّـة .. لقـد أهديناهم سرّ الملابس المضادة لأشعة الليزر ، وخسرنا ثلاثة من رجالنا على أرضهم .. والأخطر من ذلك أن فى قبضتهم أهم ضباط مخابراتنا حيًا .. هل هذه هى النتائج الباهرة التى وعدتنى بها ؟

قال رئيس المخابرات ، وهو يبدى أسفه :

ـ لقـد كانت الخطـة محكمة للغـاية ، حتى أن ضابطنا استطاع إقناع إدارة المخابرات العلمية المصرية كلها ، بأنه قادم من المستقبل .. لقد أخبرهم بكل أسرارهم التى حصلنا عليها بمعاونة عميلنا هناك .. أخبرهم بها بكل بساطة ، وكأنها تاريخ قديم بالنسبة

إليه ، ثم إن محاولات الاختطاف التى تظاهرنا بها ....

صاح رئيس الوزراء مقاطعًا وغاضبًا :

ـــ بل خدعونا هم بكل بساطة .. لقد سقطنا وكأننا مبتدئون ، برغم أن مخابراتنا معروفة بأنها أعظم المخابرات فى العالم .

قال رئيس المخابرات بصوت مرتجف :

ـــ رجل واحد فقط من رجالهم يا سيّدى .

قاطعه رئيس الوزراء فى غضب بالغ :

ـــ أنت غبىّ .. لقد خدعونا منذ البداية .

رفع رئيس المخابرات حاجبيه فى دهشة ، وصاح :

ـــ منذ البداية ؟ كيف ؟

عقد رئيس الوزراء كفّيه خلف ظهره ، وقال وهو ينظر فى وجه رئيس المخابرات ببرود :

ـــ لم يعد من حقك معرفة أسرار دولتنا .. كان من المفروض أن تُفصل بعد هذا الخطأ البشع .. ولكننا سنكتفى بقبول استقالتك .

احتقن وجه رئيس المخابرات ، وعجز عن أن ينطق بكلمة .

فى نفس اللحظة فى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، كان هذا الأخير يقهقه ضاحكًا ويلتفت إلى النقيب (نور) وهو يقول :

ـــ وهكذا سقطوا فى الفخ كالبلهاء أيها النقيب .

قال (نور) وقد شعر ببعض الضيق :

ـــ هذا يعنى أنكم كنتم تعلمون أنه محتال ، منذ أسندت إلىّ هذه المهمة يا سيّدى القائد .

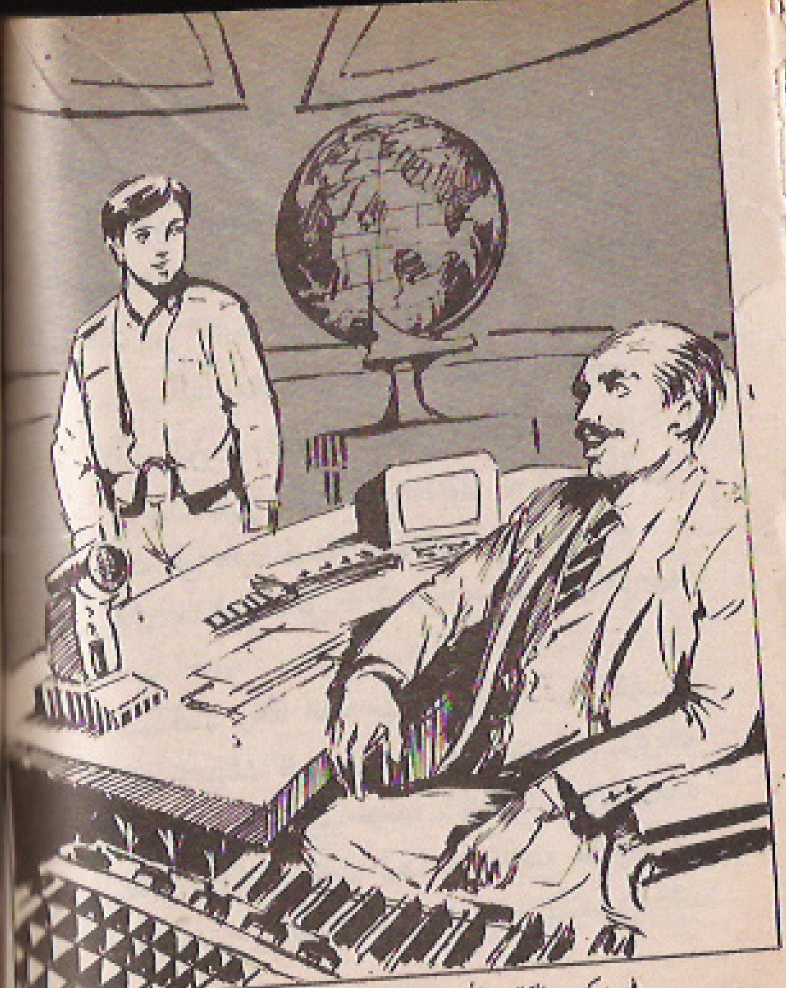
قال القائد الأعلى ، وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدية :

ـــ كنت واثقًا أنك ستكشف أمره أيها النقيب ؛ ولذلك اخترتك أنت بالذات لهذه المهمة .. ولو أن الأمر يقتصر على مجرّد الحراسة ، لما أسندت إليك هذه المهمة . ولكننى كنت أريدك أن تقتنع بقدومه من المستقبل ، حتى تتعامل معه على هذا الأساس .. لقد

أرسلوا لنا أذكى رجالهم .. لقد تم إعداده مدّة ثلاث سنوات كاملة ، ليتحدث وكأنه واحد من أبناء مصر .. كانت أى شبهة من الشك كافية لتنبيهه ، ولقد فوجئت عندما أخبرتنى أنت أنك قد كشفت أمره ، لم أتوقّع أن تصل إلى ذلك بهذه السرعة .

صمت (نور) ، كان هذا هو نفس المبدأ الذى دفعه إلى إخفاء الأمر عن فريقه ؛ ولذلك لم يستطع الاعتراض .. وعاد يستمع إلى القائد الأعلى وهو يتابع قوله :

ـ كنا نشك منذ زمن فى المسئول الجديد عن ملفات الميكروفيلم السرّية للغاية ؛ ولذلك فقد أصبحنا نرسل إليه بمعلومات عادية مزيّلة بملحوظة (سرّى للغاية) .. وقد كنت أحتفظ بالمعلومات السرّية للغاية فعلًا هنا ، فى مكتبى الخاص .. وعندما حضر هذا الرجل وادعى أنه قادم من المستقبل ، أخبرنا بتلك المعلومات العادية التى أرسلنا بها إلى مكتب حفظ



فى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ..

الميكروفيلم السرّى للغاية .. كان هذا يؤكد خيانة مسئول الميكروفيلم ، ويؤكد كذب هذا الزائر من المستقبل المزعوم .. ولقد فضلنا الاستمرار فى اللعبة حتى نعلم ماذا يريدون ، وكان يجب أن تتولى أنت هذه المهمة ، وأنت مقتنع تمامًا بقدومه من المستقبل .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ ولكننى لم أقتنع بذلك أبدا يا سيدى ، برغم اقتناعى الكامل بالنظرية النسبية ، وبأن الزمن هو البعد الرابع للمادة .. يمكننى أن أصدق أننى أستطيع أن أرى الماضى بوسائل علمية معقّدة ، لا أن أنتقل إليه بجسدى أو بماديتى .. إن عقلى يرفض هذا .

ابتسم القائد الأعلى بإعجاب وعاد إلى الوراء بمقعده ، وهو يتأمل (نور) قائلًا :

ـــ رائع أيها النقيب .. قل لى : ألم يحن الوقت بعد لترقيتك ؟

قال (نور) جادًا :

ـــ أفضل انتظار موعد الترقية العادى يا سيدى .. لا أريد التميُّز عن زملائى .. ثم إننا جميعًا نعمل من أجل مصر ، لا من أجل الترقية .

كانت نبرات القائد الأعلى تنمّ عن إعجاب شديد وهو يقول :

ـــ إنك عجيب أيها النقيب .. تحمل جسد مصارع ، وعقل عالم ، وقلب فنان ، وأخلاق فارس .. لا أعتقد أن العصر يجود بأكثر من واحد من نوعك .

احمر وجه (نور) خجلًا ، ولم يستطع التعليق بكلمة .

* * *



١٢ ـ الختام ..

ضحكت (سلوى) ، وقالت وهى تنظر إلى (نور) :

ـ إذن فقد خدعك القائد الأعلى كما فعلت معنا .

ابتسم (نور) وقال :

ـ لا يمكن أن نطلق على ما حدث فى الحالتين اسم الخداع ، وإنما هو جزء من التكتيك المطلوب لنجاح الخطة .. تذكّرى ، لقد كنا نتعامل مع رجال مخابرات قوية .

قالت (سلوى) وهى تتأمله بإعجاب :

ـ لقد كنت أنت أيضًا قويًا يا (نور) .

ثم مالت عليه وهمست :

ـ هل تعلم أن هذه هى المرة الأولى التى أراك فيها تقاتل .. لم يحدث هذا من قبل فى أية قضية تولّيناها سويًا .. لقد كنت بطلًا .



أطرق (نور) برأسه وقال :

ــ صدقينى يا عزيزتى (سلوى) ، إننى لا أشعر بالفخر .

قالت (سلوى) بصوت حنون :

ــ أعلم أنك تكره العنف يا (نور) ، ولكن كنت مضطرًا ؟

قاطعهما (رمزى) قائلًا :

ــ هل سنقضى الليل كله فى الحديث ؟ أم تَعِدُنا بنزهة نيلية أيها القائد ؟

ضحك (نور) ، وقال :

ــ نعم ، وسأوف بوعدى يا عزيزى (رمزى) .

قال (محمود) ضاحكًا :

ــ لن أتنازل عن هذه الدعوة أبدًا .. ربما كانت الفرصة الوحيدة لقضاء بعض الوقت بصحبة النقيب (نور) ، دون التفكير فى لغز ما .

ابتسم (نور) وقال :

ــ لن أدعك هكذا يا صديقى ، سأمنحك لغزًا .

ثم مال إلى الأمام ، وقال بخبث :

ــ من صاحب هذه الدعوة ؟ سأبسط لكِ الأمر .. إنه رجل يحمل رتبة رسمية .

صاح (محمود) بسرعة :

ــ القائد الأعلى بالطبع .

رفع (نور) إصبعه محذرًا ، وقال :

ــ خطأ ، حاول مرة أخرى .

قال (رمزى) بانتباه :

ــ لعله رئيس الوزراء .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا وهو يرتدى سترته استعدادًا للخروج .

سار رفاقه بجواره وهم يفكرون فيمن صاحب هذه الدعوة .. وقبل صعودهم فى سيارة (نور) قال (محمود) :

ــ أليس هو رئيس الجمهورية ؟

ضحك (نور) وهزّ رأسه نفياً .. وبينما كان يقود السيارة همست (سلوى) فى أذنه :

— (نور) ، لقد فشلت فى تخمين الحل .. من صاحب الرتبة الرسمية الذى دعانا اليوم ؟

ابتسم (نور) ومال على أذنها هامساً :

— إنه أنا يا عزيزتى .. ألست أحمل رتبة رسمية ؟

* * *

(تمت بحمد الله)